سلسلة آيات في العقيدة
(١)

آيات النهي عن الفرقة والتفرق

دراسة وتفسير

إعداد / د. سعد سراج عبد الهادي آل مطارد
الاستاذ المساعد بجامعة الباحة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيرا . وبعد :

فإن الواجب على المسلمين الاجتماع ، والتآلف ، والتناصح ، وترك الافتراق ، والاختلاف وقد أمرهم الله بهذا في كتابه في غير موضع ، وحث عليه رسوله ﷺ في سنته ، كيف ! ! وربهم واحد ، وأصلهم واحد ، ودينهم واحد وقد أشار القرآن في كثير من آياته إلى هذا الأصل ، بداية بأصل العقيدة فالإله واحد يقول سبحانه: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١) . وقال عز وجل آمراً رسوله ﷺ :﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾(٢) . ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾(٣) . ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٤). وقال: ﴿ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٥) .وقال سبحانه: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾(٦) . وقال سبحانه محذراً :﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ (٧) . وحكم بالكفر على من قال بتعدد الإله فقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٨) .

وأصل الخلق واحد قال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾(٩) . وقال عز وجل :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾(١٠) . وقال عز وجل : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾(١١) ، فأصلهم من نفس واحدة .

---

(١) البقرة: ١٦٣.

(٢) الأنعام: ١٩.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) الأنبياء: ١٠٨.

(٥) إبراهيم: ٥٢ .

(٦) النحل: ٢٢ .

(٧) النحل: ٥١.

(٨) المائدة: ٧٣ .

(٩) النساء: ١ .

(١٠) الأنعام: ٩٨.

(١١) الزمر: ٦ .

وقضى أن الأرض هي مستقرهم ومبعثهم فقال جل وعلا: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾[1] .وقال سبحانه: ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾[2] فلا دار يسكنها البشر حال حياتهم غير هذه الأرض.

وخلقهم وأنشأهم لأمر واحد قال جل وعز: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[3] .وبعث بالدعوة إليه وتحقيقه والتذكير به جميع أنبيائه ورسله: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[4] . فدعوة جميع الأنبياء والرسل واحدة التي هي : الدعوة إلى التوحيد كما دلت عليه آيات الكتاب ونصوص السنة .

ودينهم واحد قال سبحانه :﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾[5] . قال قتادة في تفسير الآية : والإسلام: شهادة أنّ لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودلّ عليه أولياءه، لا يقبل غيرَه ولا يجزى إلا به. [6]

وهذا آخر الأنبياء والرسل نبينا محمد . ﷺ . أمره الله أن يقول : ﴿ وَأَنَآ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[7] ، وأن يقول : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[8].

وأمر أول الأنبياء بما أمر به أخر الأنبياء وكان مما ذكره الله عنه قوله : ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [9] ، فهذا أصل دين جميع الأنبياء والرسل وإن اختلفت شرائعهم قال ﷺ : ((أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلاَدُ عَلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ))[10]. قال البغوي :"يريد أن أصل دين الأنبياء واحد، وإن كانت شرائعهم مختلفة، كما أن أولاد العلات أبوهم واحد، وإن كانت أمهاتهم شتى". [11]

وبين سبحانه أنه لا أحسن قولاً ممن دعا إليه وعمل صالحاً وانتسب إلى المسلمين فقال سبحانه: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[12] .

---

(١) الأعراف: ٢٤.

(٢) طه: ٥٥ .

(٣) الذاريات: ٥٦ .

(٤) النحل: ٣٦ .

(٥) آل عمران: ١٩.

(٦) انظر تفسير الطبري (٦/٢٧٥).

(٧) الأنعام: ١٦٣.

(٨) النمل: ٩١ .

(٩) يونس: ٧٢ .

(١٠) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٧٦) .

(١١) شرح السنة (١٣/ ٢٠٠).

(١٢) فصلت: ٣٣ .

وتأمل استنباط ابن عباس . رضي الله عنهما ـ لهذا الأمر "من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾[1] ،وقوله:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾[2] وقوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[3] ، وقوله: ﴿ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[4] وقوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾[5]،وقوله:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ ﴾[6] ، وقوله: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾[7] ، ونحو هذا في القرآن كثير.

قال ابن عباس: «أمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة،ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله" [8].

فالأمر من أوله إلى نهايته يوصل إلى ما ذكرنا من أن الأصل هو الاجتماع والإتلاف ، فلماذا التفرق والاختلاف ؟. ولماذا مشابهة الأمم السابقة ؟.

والمسلم يردد في يومه وليلته فاتحة الكتاب المشتملة على سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم ، وأن يجنبه طرق اليهود والنصارى . والمتأمل لحال المسلمين اليوم ليتألم من تفرقهم ، وتمزقهم ، وتقاتلهم ؛ حتى أصبح القتل ، والتشريد ، والتهجير صفة ملازمة للمسلمين اليوم على وجه العموم ، وأهل السنة منهم على وجه الخصوص ، وما ذلك إلا لتفرقنا وبعدنا عن كتاب ربنا وسنة نبينا . ﷺ. فلا يكاد يخلو بلد من أحزاب متفرقة ، وجماعات مختلفة ، يكفر بعضهم بعضاً ، ويفسق بعضهم بعضاً ، وربما قتل بعضهم بعض ، وكانت هذه الفرق من أهم أسباب ضعف المسلمين ، وهوانهم على الأمم ، وأصبح المسلم في بعض البلدان الإسلامية لا يجد الأمن والأمان إلا في الدول الغربية ، فمن خلال تأمل حال المسلمين اليوم وتفرقهم أحببت أن أتتبع الآيات التي نهت عن التفرق في القرآن الكريم بلفظ صريح ، مرتباً ذلك على حسب النزول ، ومبيناً مناسبتها لما قبلها ، ومقدماً قبل ذلك بتمهيد عرفت فيه بمعنى التفرق ، وذكرت فيه ما يشابهها من الألفاظ ، والفرق بين التفرق والاختلاف ، ومباحث أخرى ... وجمعت فيها من كلام العلماء ما يتبين به المعنى ، لأنتفع بها في نفسي ويستفيد منها من نظر فيها وجعلته في مقدمه وتمهيد وفصل وخاتمة. وأسأله سبحانه التوفيق والسداد .

---

(١) الأنعام: ٦٨.

(٢) آل عمران: ٧ .

(٣) الأنعام: ١٥٣.

(٤) الشورى: ١٣.

(٥) الأنعام: ١٥٩.

(٦) آل عمران: ١٠٥.

(٧) الأنبياء: ٩٣.

(٨) تفسير الطبري (١٩/ ٣٥٧) .

خطة البحث :

المقدمة : مدخل للبحث

تمهيد : وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الفرقة والتفرق في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني : الفرق بين الاختلاف والتفرق .

المبحث الثالث : المذموم من الاختلاف والتفرق .

المبحث الرابع : بداية التفرق في بني آدم .

المبحث الخامس : نماذج من اختلاف أهل كتاب وتفرقهم وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تكفيرهم للناس واعتقادهم أنهم هم أهل الجنة .

المطلب الثاني : تكفير بعضهم لبعض .

فصل: طريقة القرآن في النهي عن التفرق .

المبحث الأول : أهمية الاجتماع وخطر التفرق .

المبحث الثاني : التفرق نوع من أنواع العذاب .

المبحث الثالث: الأمر باتباع الصراط المستقيم ، والنهي عن اتباع السبل.

المبحث الرابع : الوعيد الشديد لمن اتبع غير سبيل الله .

المبحث الخامس : الأمر بإقامة الدين وعدم التفرق فيه.

المبحث السادس : الاعتصام بحبل الله سبب النجاة .

الخـــــاتمـــــة : واشتملت على النتائج والتوصيات

الفهارس .

○ **تمهيد وفيه خمسة مباحث:**

تكررت مادة (فرق) في القرآن سبعاً وأربعين مرة أولها بحسب النزول قول هارون . ﷺ . لأخيه موسى . ﷺ . : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[1] . وآخرها أيضاً بحسب النزول قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾[2] . وجاء من الكلمات المقاربة لها في المعنى : "حزب" ، "وشيع" واجتمعت في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [3] وهو دليل تقاربها في المعنى [4]. واستعمل في ذلك أيضاً "زبرا" للأحزاب المتفرقة[5].كما في قوله سبحانه: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[6] وإليك تفصيل معاني هذه المفردات كما جاءت في كتب اللغة والغريب والتفسير في المبحث التالي :

❖ **المبحث الأول: الفرقة والتفرق في اللغة .**

فَرَقْتُ بين الشيئين أَفْرُقُ فرقاً وفرقاناً. وفرقت الشئ تفريقاً وتَفْرِقَةً، فانْفَرَقَ وافْتَرَقَ وتَفَرَّقَ".[7] تفريقاً، وانفلق ، ونحو ذلك ولبيان معانيها بهذه الصيغ نقول وبالله التوفيق :

أولاً . أ . (فَرَقَ): الْفَاءُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أُصَيْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَمْيِيزٍ وَتَزْيِيلٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ[8]. ومنه الفِرْقُ : يقارب الفَلْق لكن الفَلْق يقال : اعتباراً بالانشقاق ، والفِرْقُ يُقالُ : اعتباراً بالانفصال . والفِرْقُ : القِطعةُ المنفصلةُ منه ، قال تعالى:﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[9] . والفِرْقُ في الآية المراد به : "كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم ".[10]

ب : فرَقْتُ بين الشَّيْئينِ : فَصلتُ بينهما سواء كان ذلك بفصلٍ يدركهُ البصرُ، كما في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾[11] " وذلك أن الله تعالى فرق البحر اثني عشر طريقاً ، حتى خاض بنو إسرائيل ، وكان فرقاً بهم ، لأنهم كانوا حشو البحر ، والماء منفصل بعضه عن بعض ، وهم يمرون فيما بينه "[12] أو بفصلٍ تدركه

---

(١) طه: ٩٤ .

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) سورة الروم: ٣٢ .

(٤) انظر النكت والعيون (٤/ ٣١٣) ، والبحر المحيط (٨/ ٣٩٠) ، والألفاظ المؤتلفة (ص: ١٦٢) .

(٥) تفسير الطبري ت شاكر (١٩/ ٣٥٧) .

(٦) سورة المؤمنون: ٥٣ .

(٧) الصحاح (٤/ ١٥٤٠) .

(٨) مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٣) .

(٩) سورة الشعراء: ٦٣ . وانظر المفردات في غريب القرآن (ص٦٣٣).

(١٠) انظر تفسير البغوي (٥/ ٤٢٠) .

(١١) سورة البقرة: ٥٠ وانظر المفردات في غريب القرآن (ص٦٣٣).

(١٢) التفسير البسيط (٢/ ٥٠٨) .

البصيرةُ قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[1] والمراد بالآية أي "افصل بيننا وبينهم بقضاء منك تقضيه فينا وفيهم فتبعدهم منا ، من قول القائل: فرّقت بين هذين الشيئينِ ، بمعنى: فصلت بينهما؛ من قول الراجز:

يا ربِّ فَافرُقْ بينهُ وبيني ... أَشدَّ مَا فرَّقتَ بينَ اثنينِ[2]

فهذا مما تدركه البصيرة وإلا فإن موسى وهارون كانا في التيه مع بني إسرائيل ولم يكن لهما عقوبة إنما كانت العقوبة لأولئك القوم [3] . وتقول :فَرَقْتُ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ فَافْتَرَقَا مُخَفَّفٌ وَفَرَّقْتُ بَيْنَ الْعَبْدَيْنِ فَتَفَرَّقَا مُثَقَّلٌ فَجُعِلَ الْمُخَفَّفُ فِي الْمَعَانِي وَالْمُثَقَّلُ فِي الْأَعْيَانِ[4]" .

. ج : الفُرقان: كل ما فُرِق به بين الحق والباطل فهو فُرقان، فلهذا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [5]. قال الطبري : يعني به الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل، وذلك هو التوراة في قول بعضهم[6] .

قال الراغب والفرقان :كلام الله تعالى، لفرقه بين الحقّ والباطل في الاعتقاد، والصّدق والكذب في المقال، والصالح والطّالح في الأعمال، وذلك في القرآن والتوراة والإنجيل قال: ﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [7]، ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [8]، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٩).

وقال الراغب في مفرداته : "والفرقان: أبلغُ من الفَرق ؛ لأنه يستعمل في الفَرقِ بين الحقِ والباطلِ . والفَرقُ : يستعمل في ذلك وغيره .وقوله: ﴿ يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ ﴾(١٠) أي: اليوم الذي يُفرّقُ فيه بين الحقّ والباطل، والحجّة والشّبهة، قيل : أريد به يوم بدر ، فإنّه أوّل يوم فُرِّقَ فيه بين الحقّ والباطل . وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾(١١) أي: نوراً وتوفيقاً على قلوبكم تُفرقُ به بين الحق والباطل".(١٢)

---

(١) سورة المائدة: ٢٥ وانظر المفردات في غريب القرآن (ص٦٣٣).

(٢)تفسير الطبري(١٨٨/١٠)يقول الأستاذ محمود شاكر رحمه الله:"لعله لحبينة بن طريف العكلي".انظر:حاشية تفسير الطبري (١٨٨/١٠). وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ص(١٦٠).

(٣) انظر تفسير البغوي (٣٥/٢) ، وقيل غير ذلك بأن يميزهم ويفصلهم حسياً فيكون عندها مما يدركه البصر انظر فتح القدير للشوكاني (٣٣/٢). وانظر الفروق اللغوية (ص: ١٥١) .

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٧٠) .

(٥) سورة الأنبياء رقم الآية (٤٨) .

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ٤٥٢) .

(٧) سورة البقرة رقم الآية (٥٣) .

(٨) سورة الأنبياء رقم الآية (٤٨) .

(٩) سورة الفرقان: رقم الآية (١).

(١٠) سورة الأنفال: رقم الآية (٤١).

(١١) سورة الأنفال: رقم الآية (٢٩).

(١٢) المفردات في غريب القرآن (ص:٦٣٤). وانظر تفسير الطبري (٥٦٠/١٣) .وتفسير السمعاني (٢٦٨/٢).

. سبب تسمية القرآن بالفرقان :

ذكر المفسرون لتسمية القرآن بالفرقان وجوها منها: – أنه سمي به لنزوله متفرقاً مدة الزمان. ومنها : أنه مفروقٌ بعضه من بعض، لأنه مفصلٌ بالسور والآيات. ومنها: افتراقه عن سائر المعجزات ببقائه على صفحات الأيام والدهور . ومنها: فَرقُهُ بين الحقّ والباطلِ، والحلالِ والحرامِ. (١)

الفَرَقُ: بالتحريك تَفَرُّقُ القلب من الخوف، وقد فَرِقَ بالكسر ، واستعمالُ الفَرقِ فيه كاستعمال الصّدع والشّقّ فيه. قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ (٢) (٣) .

- **ثانياً** : التَّفريقُ : وأصله للتكثير ، ويقال ذلك في : تشتيت الشمل والكلمة كقوله تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾(٤) وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ (٥).

والفَرقُ بين الفَرقِ والتّفريقِ : أنّ الفَرْقَ : خلاف الجمعِ ، والتَّفريقُ : جعلُ الشّيءِ مُفارقاً لغيرِهِ حتى كأنّه جعل بينهما فَرقاً بعد فرقٍ حتى تباينا وذلك أن التفعيل لتكثير الفعل ، ولذلك إذا كان في الصلاح يقال : "فرَّقَ للصلاح فرقاً ، وَفرَّق للإفساد، تفريقاً"(٦). وقيل: التَّفريقُ: جعل الشئ مُفارِقاً لغيره.

والفَرْقُ: نقيض الجمع، والجمع: جعل الشئ مع غيره، فالفرقُ جعل الشئ لا مع غيره. ويؤيد هذا الفرق قوله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾(٧) أي : لا نجعل الأنبياء مفارقين بعضهم من بعض ، بأن نؤمن ببعض، ونكفر ببعض. (٨)

الفَرِيقُ : الجماعة المتفرقة عن آخرين قال سبحانه :﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٩) وقال: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾(١٠) وقال :﴿ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١١)

ثالثاً . الافْتِرَاقُ : يكون بالكلام ،والتَّفرقُ بالأجسام لأنه يقول : فَرَّقْتُهُ فافترق، وفَرَّقْتَهُ فتفرق(١٢).

---

(١) انظر تفسير الرازي (٢٤/ ٤٢٩) ، وتفسير القرطبي (٢/١٣) ، والفروق اللغوية (ص: ٤٢٤).

(٢) سورة التوبة: رقم الآية (٥٦).

(٣) انظر الصحاح (٤/ ١٥٤١) ، والمفردات في غريب القرآن (ص:٦٣٤).

(٤) البقرة: ١٠٢ .

(٥) طه: ٩٤ وانظر الصحاح (٤/ ١٥٤١) ، والمفردات في غريب القرآن (ص:٦٣٤).

(٦) المحكم (٦/ ٣٨٣).

(٧) البقرة: ٢٨٥.

(٨) انظر النكت والعيون للماوردي (١/ ٣٦٢) ، وتفسير البغوي (١/٤٠١)، ومعجم الفروق اللغوية ص ٤٠٢.

(٩) آل عمران: ٧ .

(١٠) البقرة:٨٧ .

(١١) البقرة:١٨٨. وانظر المفردات في غريب القرآن ص٦٣٣.

(١٢) انظر غريب الحديث للخطابي (٢/ ٢٠٧) ، والمغرب في ترتيب المعرب ص٣٥٨.، وتاج العروس (٢٦/ ٢٩٧).

والفرقة: الاسم من فارقتُهُ مفارقةً وفراقاً [١]".

والفِراقُ والمفارقةُ تكون بالأبدانِ أكثرَ ومنه قولهُ تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾(٢)وقال تعالى:﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ (٣) .

وخلاصة ماسبق : أن كلمة "فَرَقَ" بشتى استعمالاتها تكون بمعنى : التمييز ، والتشتيت ، والفصل ، وتستعمل في المعاني ؛ وفي الأعيان . والفَرقُ يكون في المعاني ؛ والتفريق في الأعيان فإن ميزت بين الأشياء "شددت" وإن كان بين شيئين فهو مخفف[٤] .

(١) انظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٥٤١) .

(٢) سورة الكهف:٧٨.

(٣) سورة القيامة:٢٨ .وانظر المفردات في غريب القرآن ص٦٣٣.

(٤) انظر الكليات (١/٦٩٥).

❖ **ألفاظ جاءت بمعنى الفرقة :**

- أولاً : **الحزب** : الحاء والزاء والباء أصل واحد وهو تَجَمُّعُ الشيءِ. فمن ذلك الحزب : الجماعة من الناس ، والطائفة من كل شيء حزب. وأصحاب الرجل معه على رأيه [١].

والأحزاب: الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام [٢]: ومنه قوله تعالى : ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [٣]، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وإن لم يلق بعضهم بعضا ؛ بمنزلة عاد ، وثمود ، وفرعون أولئك الأحزاب [٤].

- ثانياً: **شيعاً** . شاع الشيء يشيع مشاعاً وشيوعةً فهو شائع: إذا ظهر وتفرق ، والشِّيَع: الفِرَق من النَّاس.ومنه قوله تعالى:﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ [٥]،وقوله سبحانه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾[٦]، وقوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [٧]،والشيعة:أنصار الرجل وأتباعه ومنه قوله تعالى:﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [٨].وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة. ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [٩] والجماعة شيع وأشياع[١٠]. وهذه المعاني ظاهرة في الأحزاب والفرق والطوائف المختلفة في الدين.

- ثالثاً : **زبرا** . قال الراغب : زبر : الزُّبْرَةُ: قطعة عظيمة من الحديد، جمعه زُبَرٌ، قال: ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾[١١] ،وقد يقال: الزُّبْرَةُ من الشّعر،جمعه زُبُرٌ،واستعير للمجزّأ، قال:﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾ [١٢] أي: صاروا فيه أحزابا.[١٣] قال الطبري في معنى الآية : " فتفرّقوا أمرهم بينهم قِطَعا كزُبَر الحديد" .[١٤]

---

(١) انظر تهذيب اللغة (٤/٢١٧)،مقاييس اللغة (٢/٥٥)،المفردات (ص:٢٣١)، والألفاظ المؤتلفة (ص:١٦٢).

(٢) انظر تفسير البغوي (٤/ ٥٦) ، والمحرر الوجيز (٤/٤٩٥) .

(٣) سورة ص: آية رقم (١٣ – ١٤).

(٤) انظر تهذيب اللغة (٤/ ٢١٧) ، الصحاح (١/ ١٠٩) ، مقاييس اللغة (٢/ ٥٥) ، المفردات (ص: ٢٣١).

(٥) سورة الأنعام: آية رقم (٦٥) .

(٦) سورة الأنعام: آية رقم (١٥٩) .

(٧) سورة القصص: آية رقم (٤) .

(٨) سورة القصص: آية رقم (١٥) .

(٩) سورة الصافات: آية رقم (٨٣) .

(١٠) انظر فيما سبق تفسير الطبري (١١/٤١٩ و١٩/ ٥١٦)،جمهرة اللغة (٢/ ٨٧٢)، الصحاح (٣/ ١٢٤٠) .

(١١) سورة الكهف آية رقم (٩٦) .

(١٢) سورة المؤمنون: آية رقم (٥٣) .

(١٣) المفردات (ص: ٣٧٧) .

(١٤) تفسير الطبري (١٩/ ٤٢) .

❖ **المبحث الثاني: الفرق بين الاختلاف والتفرق :**

يعبر القرآن الكريم في بعض المواضع بلفظ الاختلاف وأحياناً بلفظ التفرق ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [1] ومثله قوله تعالى :﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ [2] .

مما جعل من المتحتم الاشارة إليه في هذا المبحث ونبدأ بمعناه في اللغة والاصطلاح .

أولاً : الاختلاف في اللغة : ضد الاتفاق[3] .

وفي الاصطلاح : أن يأخذ كلُّ واحدٍ طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله[4] .

وقيل : أن يذهب كلُّ واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر [5] وقيل هو : منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حقٍّ أو لإبطال باطل.[6] وكلها متقاربه.

ثانياً : قال الراغب في تفسيره : التفرّق على ثلاثة أضرب: تفرّقٌ بالأبدان، وتفرّقٌ بالأقوال والأفعال، وتفرّق بالاعتقادات. وكذلك الاختلاف ؛ إلا أن الأظهر في الاختلاف أن يكون : بالأقوال والأفعال والاعتقادات، وفي التفرق أن يكون : بالأبدان إ.هـ . [7]

وقد جمع الله بين اللفظين في موضع واحد فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [8] .

" قال الراغب في تفسير هذه الآية : وذكر تعالى اللفظين، ليبين أن أهل الكتاب تجادلوا بكل ذلك، وعلى هذا قال ابن عباس والربيع : تفرّقوا واختلفوا في أحكام مبتدعة وأهواء متبعة بعد أن كانوا إخواناً، وإن من كان قبلهم هلكوا بالمراء والخصومات "[9]. وهم اليهود والنصارى في قول أكثر المفسرين ، اختلفوا في دين الله وأمره ونهيه [10].

ثالثاً : **هل الاختلاف والتفرق في الآية بمعنى واحد** اختلف أهل التفسير أيضاً في ذلك :

. فقيل : تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد ؛ وإنما ذكرهما للتأكيد [11].

---

(١) سورة الجاثية : آية رقم (١٦- ١٧) .

(٢) سورة البينة: آية رقم (٤) .

(٣) انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ١٨٠)

(٤) انظر المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٩٤) .

(٥) انظر المصباح المنير (١/ ١٨٠)

(٦) انظر التعريفات (ص: ١٠١) .

(٧) انظر تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٧٧٨).

(٨) سورة آل عمران : آية رقم (١٠٥) .

(٩) انظر تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٧٧٨).

(١٠) انظر تفسير الطبري (٧/ ٩٢) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٢٨٢/١).

(١١) انظر تفسير الطبري (٩٢/٧) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٢٨٢/١)، وتفسير الرازي (٣١٦/٨).

. وقيل: بل معناهما مختلف ، ثم اختلفوا في المراد على أقوال ثلاثة[1] :

الأول: ﴿ تَفَرَّقُواْ ﴾ بالعداوة ، ﴿ وَٱخۡتَلَفُواْ ﴾ في الدين.

الثاني: ﴿ تَفَرَّقُواْ ﴾ بسبب استخراج التأويلات الفاسدة من تلك النصوص، ثم اختلفوا بأن حاول كل واحدٍ منهم نصرة قوله ومذهبه .

والثالث: تفرقوا بأبدانهم بأن صار كل واحد من أولئك الأحبار رئيسا في بلد، ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدّعي أنه على الحق وأن صاحبه على الباطل .

رابعاً : هل التفرق سبب الاختلاف : يُفهم مما سبق أن التفرق سبب الاختلاف وهذا رأي من الآراء [2] في هذه الآية بينما يرى بعض المفسرين أن تقديم الافتراق على الاختلاف في الآية لا يدل على أسبقيته وإنما " للإيذان بأن الاختلاف علة التفرق وهذا من المفادات الحاصلة من ترتيب الكلام وذكر الأشياء مع مقارناتها، وفي عكسه قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [3]"

وقد يكون المشار إليه في الآية هو الاختلاف التالي للافتراق ، فما من تفرق نهى الله عنه إلا ويخلفه اختلاف في كثير من المسائل ، ومن تأمل أحوال الفرق على مر الأزمان يجد بوناً شاسعاً بين بداياتها وواقعها اليوم ، ولا يزال الأمر يستمر إلى ما شاء الله. وعليه يحمل قول من جعل الافتراق مقدمة للاختلاف [4] .

والتفرق والاختلاف المذكور في الآية بعد مجيء البينات وظهور الحجة وتبين الصواب سببه البغي ، كما نبهت آيات أخرى ، فأيهم وقع كان الآخر على إثره نتيجة حتمية له مما ينبه المسلم على سبب من أهم أسباب التفرق والاختلاف ولذلك جاءت شرائع الاسلام مبنية على اجتماع المسلمين وتواصلهم وتآلفهم [5] ، كما أن الاختلاف المبني على غير هدي السلف الصالح سبب للتفرق بالأبدان .

والراجح في هذا الأمر : أن مؤداهما متقارب وإن كان الأظهر في كل منهما خلاف الآخر. والافتراق بلا شك أشد من الاختلاف وأعظم ؛ لأن الافتراق اختلاف وزيادة وليس كل اختلاف يقع يؤدي للافتراق كما هو معلوم من حال السلف، ولكنه سبب الافتراق ولاشك .

قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ والتفرق : ناشئ عن الاختلاف في المذاهب والآراء إن جعلنا التفرق معناه بالأبدان . وهو الحقيقة . وإن جعلنا معنى التفرق في المذاهب، فهو الاختلاف، كقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ ﴾[6].وبحث مثل هذا في كتب العقيدة .

---

(١) انظر تفسير الطبري (٩٢/٧)،ولباب التأويل (٢٨٢/١)،وتفسير الرازي (٣١٦/٨).وروح المعاني (٢٤٠/٢).

(٢) انظر تفسير المنار (٣٩/٤) .

(٣) سور البقرة: آية رقم (٢٨٢) . وانظر التحرير والتنوير (٤٣/٤) .

(٤) انظر تفسير المنار (٤/ ٣٩)

(٥) وانظر إلى الإشارة لذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه(٣٢٣/١) (٤) كتاب الصلاة (٢٨) باب تسوية الصفوف ، رقم الحديث(٤٣٢) من حديث أبي مسعود البدريﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: «استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم..» الحديث .فاختلاف الأبدان في الصلاة سبب لاختلاف القلوب .

(٦) سورة آل عمران : آية رقم (١٠٥) .

❖ **المبحث الثالث : المذموم من الافتراق والاختلاف :**

جاءت الإشارة في كتاب الله إلى حدوث الخصام في الملأ الأعلى فقال سبحانه : ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [1] أي: لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى؟ يعني: في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربه في تفضيله عليه[2].

وكذلك قص الله علينا خبر موسى مع العبد الصالح كما في سورة الكهف وأنهما اختلفا ثم تفارقا ، قال سبحانه في خبرهما:﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [3].

وأخبر عن اختلاف داوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث فقال عز وجل: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [4] قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد أهلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده[5].ومع ذلك لكلٍ منهم أجره ولم يترتب على ذلك فرقة .

والاختلاف والتنازع يقع بين أهل الإيمان يقول المولى سبحانه :﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾[6] .

فأشارت الآية إلى أمرين **الأول** : وقوع التنازع بين أهل الإيمان وأن ذلك لا يقدح فيهم .

والثاني : الحكم أن يُرد ما تنازعوا فيه إلى كتـــاب الله وسنة رسوله ﷺ .﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾[7] فإن هم ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أصابوا وهدوا إلى الصراط المستقيم .

يقول ابن حزم رحمه الله ": والاختلاف لا يسع البتة ولا يجوز .. وإنما الفرض علينا اتباع ما جاء به القرآن عن الله تعالى الذي شرع لنا دين الإسلام ، وما صح عن رسول الله ﷺ الذي أمره الله تعالى ببيان الدين فقال تعالى :﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[8] ولا مزيد ، وقال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ

---

(١) سورة ص آية رقم : (٦٩) .

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٨٠).

(٣) سورة الكهف آية رقم : (٧٨) .

(٤) سورة الأنبياء آية رقم : (٧٨-٧٩) .

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٢٩٩).

(٦) سورة النساء آية رقم : (٥٩) .

(٧) سورة الشورى آية رقم : (١٠) .

(٨) سورة النحل آية رقم : (٤٤) .

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]

فما صح في النصين ، أو أحدهما فهو الحق ؛ ولا يزيده قوة أن تجمَّع عليه أهل الأرض ؛ ولا يوهنه ترك من تركه ، فصح أن الاختلاف لا يجب أن يراعى أصلاً .

وقد غلط قوم فقالوا : "الاختلاف رحمة"[2] وهذا من أفسد قول يكون ؛ لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطاً وهذا ما لا يقوله مسلم" إ. هـ [3].

ـ ما يجوز من الاختلاف :

بلا شك أن في اجتهادات العلماء فيما لا نص فيه توسعة على الناس ، وقد يكون الخلاف من باب خلاف التنوع لا التضاد ، فأما أن يخالف المرء نصاً من كتاب الله ، أو ما صح من سنة رسول الله ، أو ما أجمعت عليه الأمة ، فهذا غير جائز بإجماع العلماء ، وما وقع بين فقهاء الأمة وعلماء الملة من خلاف في الفروع فإن الأئمة الأربعة وغيرهم قد بينوا . رحمهم الله . أنه لا قول لأحد مع قول الله ورسوله ﷺ،وأنه يؤخذ من قول كل أحد ويرد إلا رسول الله ﷺ ،وأنه إذا صح الحديث فهو مذهبهم [4] ، وكثير منهم رجع عن قوله في مسائل عديدة حين تبين له الحق ، وهذا حالهم في الفروع فكيف يرون جواز مخالفة أمر الله ورسوله ﷺ في أصول الدين وقواعده الكبار التي من أعظمها الاجتماع والإتلاف والدعوة إليه ، وقد امتلأت كتب علماء السلف بالتحذير من الفرقة والاختلاف ووجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع إليهما وأنه لا يسوغ لأحد مخالفتهما ، ولا يكاد القارئ ينظر في كتاب من كتبهم إلا ويجد من أبوابه وكتبه الاعتصام بالكتاب والسنة [5] .يقول المولى سبحانه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [6] .

. الاختلاف المنهي عنه :

تبين من هذا أن الاختلاف المنهي عنه هو : " الاختلاف في أصول الديانة الذي يفضي إلى تكفير بعض الأمة بعضا، أو تفسيقه، دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصار، وهو

---

(١) سورة المائدة آية رقم : (٣) .

(٢) جزء من حديث اشتهر على ألسنة الناس بلفظ :"اختلاف أمتي رحمة" ولفظ "اختلاف أصحابي لكم رحمة" قال الألباني لا أصل له. ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١/ ١٤١) ، وانظر الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (ص: ٨٤) . وبعض العلماء يوردون توجيه الحديث وأنه بمعنى : أن الدين في مسائل الفروع يقبل النظر والاجتهاد ولهذا كان فيه رحمة وتوسعة للعلماء فهم بين الأجر والأجرين ولسائر الأمة من الأتباع ونحوهم .

(٣) انظر الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٥/ ٦٤) .

(٤) انظر دليل ذلك في الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٦٨/١) ، والذخيرة للقرافي (١٥٤/١) ، ونهاية المطلب (المقدمة/١٦٥)، والمجموع (٦٣/١) ، ومجموع الفتاوى (٢١١/٢٠).

(٥) انظر مسند الشافعي – ترتيب السندي (١٩/١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، وبوب البخاري في صحيحه (٩١/٩) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .وشرح السنة للبغوي (١٨٩/١)،وغيرهم كثير ولا يكاد يخلو منه مؤلف من مؤلفاتهم . وانظر أيضا الإحكام في أصول الأحكام (٦٤/٥).وإعلام الموقعين (٣٩/١).

(٦) سورة النور آية رقم : (٦٣) .

المعبر عنه بالاجتهاد. ونحن إذا تقصينا تاريخ المذاهب الإسلامية لا نجد افتراقا نشأ بين المسلمين إلا عن اختلاف في العقائد والأصول، دون الاختلاف في الاجتهاد في فروع الشريعة"[1]. وهو ما نبه الله عليه بقوله سبحانه :﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[2] .

قال الراغب "والاختلاف ضربان: اختلاف في الأصول الجارية من الطرق مجرى طريق الشرق من طريق الغرب، وذلك هو المذموم، فإن ما عدا الجهة المأمور بسلوكها مؤد إلى الباطل .. والثاني: اختلاف في الفروع الجارية من الطرق مجرى بنيات طريق إلى مقصد واحد يسلكها ، كل على حسب اجتهاده ، ومقصد جميعهم واحد ، فإن إباحة الله سلوك كل واحد من تلك الطرق فسحة لهم ورحمة ، وإياه قصد بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[3] "[4].

وقال الشاطبي : "كل مسألة حدثت في الإسلام واختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة :حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء ."[5]

والاختلاف والتنازع في الفروع يقعان من المسلمين ولكن المذموم من ذلك أيضاً ما كان فيه مخالفة للكتاب والسنة ، ومن عجائب هذه العصور المتأخرة أن أصبحت الفرقة تسمى : "جماعة"، تنشق طائفة عن عامة المسلمين ثم يتسمون بجماعة كذا والصواب أنها فرقة وليست جماعة وهذا من التلبيس على الناس نسأله سبحانه العصمة والتوفيق والسداد إنه جواد كريم .

. أسباب الاختلاف المذموم :

أسباب الاختلاف والتفرق كثيرة ونقتصر هنا على بعض ما ورد في كتاب الله نصاً ، أو فهمه علماء السلف من النصوص وهي كالتالي :

١. **البغي والظلم** : ويمكن أن يندرج فيه كثير مما يذكره العلماء في أسباب التفرق والاختلاف كاتباع الهوى ، والحسد ،وحب الدنيا ،ونحو ذلك يقول المولى سبحانه :﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾[6] ويقول عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾[7] ، وقال تعالى:﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾[8] ، وقال عز وجل : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا

(١) انظر التحرير والتنوير (٤/ ٤٣).
(٢) سورة الشورة الآية رقم (١٣).
(٣) سورة الحج الآية رقم (٧٨).
(٤) انظر تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٧٧٨).
(٥) الاعتصام للشاطبي (٣/ ١٦٩) .
(٦) سورة البقرة الآية رقم (٢١٣).
(٧) سورة آل عمران الآية رقم (١٩).
(٨) سورة الشورى الآية رقم (١٤).

جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾[1] ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴾[2].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : والمقصود هنا أن الله تعالى ذكر أن المختلفين جاءتهم البينة، وجاءهم العلم، وإنما اختلفوا بغياً. ولهذا ذمهم الله وعاقبهم ؛ فإنهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين ، بل كانوا قاصدين البغي، عالمين بالحق، معرضين عن القول وعن العمل به .

فهذه المواضع من القرآن تبين أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبينات، فاختلفوا للبغي والظلم، لا لأجل اشتباه الحق بالباطل عليهم. وهذا حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم؛ لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر لهم الحق ؛ويجيئهم، العلم فيبغي بعضهم على بعض.

ثم المختلفون المذمومون كل منهم يبغي على الآخر، فيُكذِّب بما معه من الحق، مع علمه أنه حق، ويُصدِّق بما مع نفسه من الباطل، مع العلم أنه باطل، وهؤلاء كلهم مذمومون.

ولهذا كان أهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومين في الكتاب والسنة ؛ فإنه ما منهم إلا من خالف حقاً واتبع باطلا. ولهذا أمر الله الرسل أن تدعو إلى دين واحد، وهو دين الإسلام، ولا يتفرقوا فيه، وهو دين الأولين والآخرين من الرسل وأتباعهم. قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ ﴾[3].[4]

٢. الجدال والمراء والخصومات في الدين : سبب التفرق فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ ﴾[5] . وقوله:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾[6] وقوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[7] . وقوله: ﴿ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[8] وقوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾[9]،وقوله:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ ﴾[10] ، وقوله: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾[11] ، ونحو هذا في القرآن

---

(١) سورة الجاثية الآية رقم (١٧).

(٢) سورة البينة الآية رقم (٤).

(٣) سورة الشورى الآية رقم (١٣).

(٤) منهاج السنة النبوية (٥/٢٦٣-٢٦٤) بتصرف يسير .

(٥) الأنعام: ٦٨.

(٦) آل عمران: ٧ .

(٧) الأنعام: ١٥٣.

(٨) الشورى: ١٣.

(٩) الأنعام: ١٥٩.

(١٠) آل عمران: ١٠٥.

(١١) الأنبياء: ٩٣.

كثير. قال ابن عباس: «أمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله" [(١)].

٣. مشابهة اليهود والنصارى :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [(٢)].

قال ابن كثير : ينهى هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضية في تفرقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم .. وعن أبي عامر عبد الله بن لحي قال : حججنا مع معاوية بن أبي سفيان ، فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر ، فقال إن رسول الله ﷺ قال : " إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة — يعني : الأهواء – كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة ، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب[(٣)] بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله " ، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ ، لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به [(٤)].

وسيأتي بعض ما يشير إلى أن هذه الأمة ستركب ما ركبته الأمم قبلها ، والواجب على المسلم الحذر من اتباع من فرق دينه ، واتبع هواه ، ولا يغتر بما كان عليه الآباء ، ولا يغتر بالرجال فالحق لا يعرف بالرجال ؛ بل الرجال يعرفون بالحق ، والعاقل يختار لنفسه سبب نجاته في الدنيا والآخرة ، فاترك تلك الفرق كلها ، والزم ما كان عليه رسول الله ﷺ ، وأصحابه تنجو ، وإلا فإني لا أخالك ناجياً نسأل الله لنا ولك الهداية .

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٣٥٧) .

(٢) آل عمران: ١٠٥.

(٣) أي : يتواقعون في الأهواء الفاسدة ، ويتداعون فيها، تشبيهاً بجري الفرس. والكَلَب بالتحريك: داءٌ معروف يعرض للكلب، فمن عضه قتله. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٦٤) .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٩١) . والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٨/ ١٣٥) ، حديث معاوية بن أبي سفيان رقم الحديث (١٦٩٣٧) وحسنه شعيب الأرناؤوط وحكم على حديث الافتراق بالصحة بشواهده .

❖ **المبحث الرابع: بداية التفرق في بني آدم :**

يقول المولى سبحانه : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [1] .

مناسبة الآية لما قبلها :

هذه الآية هي أول آية في كتاب الله يرد فيها لفظ الاختلاف[2] ، فما مناسبتها لما قبلها يقول أبو حيان : هو أن سبب إصرار هؤلاء على كفرهم : حب الدنيا ، وأن ذلك ليس مختصاً بهذا الزمان الذي بعثت فيه، بل هذا أمر كان في الأزمنة المتقادمة، إذ كانوا على حق ثم اختلفوا بغياً وحسداً وتنازعاً في طلب الدنيا. [3]

. اختلاف المفسرين في الآية :

قال ابن جرير : اختلف أهل التأويل في معنى الـ﴿ أُمَّةً ﴾: في هذا الموضع ، وفي ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ الذين وصفهم الله بأنهم: كانوا أمة واحدة. [4] والمفسرين في ذلك على أقوال :

القول الأول: هم الذين كانوا بين آدم ونوح، وهم عشرة قرون ، كلهم كانوا على شريعة من الحق، فاختلفوا بعد ذلك. ثم ذكر بسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين... ويكون معنى ﴿ أُمَّةً ﴾ هو : الدين . [5]

القول الثاني : أراد جميع الناس كانوا أمة واحدة على دين واحد يوم استخرج الله ذرية آدم من صلبه ، فعرضهم على آدم ، فأقروا بالعبودية والإسلام ، ثم اختلفوا بعد ذلك. [6]

القول الثالث : كان آدم على الحق إماما لذريته، فبعث الله النبيين في ولده. ووجهوا معنى الـ﴿ أُمَّةً ﴾ إلى طاعة لله[7].

القول الرابع : الناس آدم وحده [8].

القول الخامس : آدم وحواء [9].

القول السادس : الناس نوح ومن في سفينته، كانوا مسلمين ثم بعد ذلك اختلفوا. [10]

---

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) هذا بحسب الترتيب في المصحف وليس النزول .

(٣) انظر البحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٦٢) .

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٧٥).

(٥) انظر تفسير الطبري (٤/ ٢٧٥) وما بعدها . والأثر أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٨٠) كتاب التفسير تفسير سورة (حم عسق) رقم الأثر (٣٦٥٤) وقال على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٦) انظر النكت والعيون (١/٢٧١) ا تفسير الطبري (٤/ ٢٧٧)، والمحرر الوجيز (١/ ٢٨٥). والبحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٦٢).

(٧) تفسير الطبري (٤/ ٢٧٦).

(٨) انظر تفسير الطبري (٤/ ٢٧٧)، والمحرر الوجيز (١/ ٢٨٥). والبحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٦٢).

(٩) انظر النكت والعيون (١/٢٧١) ،والمحرر الوجيز (١/ ٢٨٥). والبحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٦٢).

(١٠) انظر المحرر الوجيز (١/ ٢٨٥). والبحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٦٢).

الراجح : لعل أقرب هذه الأقوال هو القول الأول ؛ لصحة دليله ، والأولى من ذلك كله ما قاله ابن جرير الطبري : لا يضرنا الجهل بوقت ذلك ، كما لا ينفعنا العلم به، إذا لم يكن العلم به لله طاعة ، غير أنه أيُّ ذلك كان ، فإن دليل القرآن واضح على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به. (١)

ولما لم يؤمنوا دعا عليهم: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾(٢) واستجاب الله له دعوته : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ (٣) أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ . (٤)

وعاد التوحيد ليس في الأرض غيره : ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٥)ولكن سنة الله التي خلت وحكمته التي سبقت أن يبتلي الخلق: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾(٦).

فبعد قوم نوح ﷺ وإهلاكهم يقول المولى عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٧) .

حتى جاء الله ببني إسرائيل وامتن عليهم بما جاء في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٨) .

ولكنهم اختلفوا وتفرقوا يقول الرسول ﷺ " افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» (٩) " .

وحين نتحدث عن اختلاف بني إسرائيل وتفرقهم كما سيأتي ؛ فلأن الأخبار تواترت عن رسولنا ﷺ أنا سنتبعهم حذو القذة بالقذة . فمن ذلك قوله ﷺ : ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر وذراعا بذراع ، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم ؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك)) (١٠) .

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٠).

(٢) نوح: ٢٦ – ٢٧.

(٣) من كذب رسولاً واحداً فكأنما كذّب جميع الرسل .

(٤) الفرقان: ٣٧.

(٥) هود: ٤٨ .

(٦) الملك: ٢ .

(٧) المؤمنون: ٤٤.

(٨) الجاثية: ١٦ – ١٧.

(٩) أخرجه أبو داود في سننه(١٩٨/٤) باب شرح السنة من حديث أبي هريرة ﷺ رقم الحديث (٤٥٩٦)وصححه الألباني.

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٢/٩) باب ما جاء في قوله ﷺ " لتتبعن سنن من كان قبلكم " رقم الحديث (٧٣١٩) من حديث أبي هريرة ﷺ .

❖ **المبحث الخامس : نماذج من اختلاف أهل كتاب وتفرقهم .** [1]:

ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

▪ **المطلب الأول : تكفيرهم للناس واعتقادهم أنهم هم أهل الجنة :**

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2].

. سبب نزول الآية :

قال البغوي . رحمه الله . " وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ولا دين إلا دين اليهودية ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ولا دين إلا دين النصرانية.

وقيل: نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا في مجلس رسول الله . ﷺ . مع اليهود فكذب بعضهم بعضا قال الله تعالى :﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾أي : شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق ﴿قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هَاتُوا ﴾ أصله آتوا ﴿ بُرْهَانَكُمْ ﴾ حجتكم على ما زعمتم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ؛ ثم قال رداً عليهم : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴾ أي: ليس الأمر كما قالوا ، بل الحكم للإسلام وإنما يدخل الجنة من أسلم وجهه ﴿ لِلَّهِ ﴾ أي :أخلص دينه لله ".[3]

"قال سعيد بن جبير:﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ ﴾ أخلص، ﴿ وَجْهَهُ ﴾ قال:دينه، ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي: متبع فيه الرسول ﷺ. فإن للعمل المتقبل شرطين، أحدهما: أن يكون خالصا لله وحده والآخر: أن يكون صوابا موافقا للشريعة. فمتى كان خالصا ولم يكن صوابا لم يتقبل [4]."

واعتقادهم أن لهم مزية على غيرهم يقول المولى سبحانه :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [5]. وهذا حال طوائف المبتدعة على مر الأزمان ؛ بل يرون قتلهم المخالفين لهم من أعظم القربات عند الله ؛ وهذا شاعر الخوارج يُثني على المرادي الذي قتل علي بن أبي طالب ﷺ فيقول:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا[6]

---

(١) لا يمكن استيعاب اختلاف أهل الكتاب في هذا البحث وإنما هذه نماذج من اختلافهم ووقع مثلها أوقريباً منها في هذه الأمة .

(٢) البقرة: ١١١ – ١١٢ .

(٣) تفسير البغوي (١/١٣٧) .

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٣٨٥) .

(٥) المائدة: ١٨.

(٦) الأبيات لعمران بن حطان شاعر الخوارج وانظر شعره وخبره في الكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٢٥).

وانظر لحال أهل السنة عند الفريق الآخر وهم الشيعة :

"فعن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام .ما تقول في الناصب ؟ قال : حلال الدم لكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل . قلت: فما ترى في ماله ؟قال خذه ما قدرت"(١) .

ومع هذا تعتقد كلا الطائفتين أنهم هم المهتدون وأن الواجب على المسلمين سلوك طريقتهم ومنهجهم ، وهو قول ومنهج اليهود والنصارى من قبل كما بينه سبحانه فقال :﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) نعوذ بالله من الخذلان .

- **المطلب الثاني : تكفير بعضهم لبعض :**

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٣) .

قال ابن جرير " قصد الله جل ثناؤه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ ﴾ ، إعلام المؤمنين أن اليهود والنصارى قد أتوا من قيل الباطل، وافتراء الكذب على الله، وجحود نبوة الأنبياء والرسل، وهم أهل كتاب يعلمون أنهم فيما يقولون مبطلون، وبجحودهم ما يجحدون من ملتهم خارجون، وعلى الله مفترون، مثل الذي قاله أهل الجهل بالله وكتبه ورسله، الذين لم يبعث الله لهم رسولا ولا أوحى إليهم كتابا"(٤).

وهذا حال الطوائف والفرق المنحرفة مهما كانت الحجج والبراهين ؛ وكم نسمع من تكفيرهم للحكام والعلماء ، والمجتمعات بدون بينة ولا علم إلا اتباع المتشابه والهوى ؛ ثم لايزالون يتفرقون جيلاً بعد جيل يتبعون أهوائهم وأراءهم بغير هدىً من الله .

وورد عن بعض السلف في تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٥).قال قتادة : هم أصحاب البدع من هذه الأمة. وقال أبو أمامة:هم الحرورية.

قال أبو حيان : قال بعض معاصرينا: في قول قتادة وأبي أمامة نظر، فإن مبتدعة هذه الأمة والحرورية لم يكونوا إلا بعد موت النبي ﷺ بزمان، وكيف نهى الله المؤمنين أن يكونوا كمثل قوم ما ظهر تفرقهم ولا بدعهم إلا بعد انقطاع الوحي وموت النبي ﷺ ؟ فإنك لا تنهى زيداً أن يكون مثل عمرو إلا بعد تقدم أمر مكروه جرى من

---

(١) انظر بحار الأنوار ٢٧/ ٢٣١.

(٢) البقرة: ١٣٥.

(٣) البقرة: ١١٣.

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٥١٧) .

(٥) آل عمران: ١٠٥ .

عمرو، وليس لقوليهما وجه إلا أن يكون تفرقوا واختلفوا من الماضي الذي أريد به المستقبل، فيكون المعنى: ولا تكونوا كالذين يتفرقون ويختلفون، فيكون ذلك من إعجاز القرآن وإخباره بما لم يقع ثم وقع. انتهى كلامه رحمه الله [1].

والقرآن حين يسجل هذا لليهود والنصارى يحذرنا من تلك السبيل فيقول سبحانه : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. [2] وبهذا ندرك علم السلف في تحذيرهم من مجالسة أهل الأهواء ومخالطتهم ، لأنهم لا يبحثون عن الحق ولو طلبوه لوجدوه. ومع معرفة أهل الكتاب للحق أشد المعرفة إلا أن اتباع الهوى والحسد يعمي ويُصم قال سبحانه :﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

وهذا حال أهل البدع فمن النادر أن تجد رجلاً ، أو فرقة من الفرق رجعت إلى الحق والصواب بل كلما تزداد على مرِّ الزمان بعداً وفرقة ، وتتبع ما وقع فيه أهل الكتاب مما نهينا عن مشابهتهم فيه أمر يطول وإنما المراد إشارات ، وإرشادات وإلا فإن الواجب على المسلم الاعتصام بحبل الله المتين ، وأن يلتزم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإن أشكل عليه أمر سأل العلماء الراسخين في العلم ؛ ليعلم ما يأتي وما يذر ، هذا ونسأله سبحانه التوفيق والسداد .

(١) انظر البحر المحيط (٢/٢٩١).

(٢) البقرة: ١٤٥ .

(٣) البقرة: ١٤٦.

- **فصل : طريقة القرآن في النهي عن التفرق ويشتمل على ستة مباحث :**

أولاً : تمهيد :.

تنوعت طرق القرآن وأساليبه في النهي عن التفرق ، وفي التحذير منه في آيات كثيرة بأساليب متنوعة ، وطرق متعددة ؛ فأحياناً بذكر قصص الأمم السابقة لأخذ العبرة ، وربما يأتي النهي عن التفرق صريحاً في آيات ؛ ويشير في آيات أخرى إلى نعمة الله على عباده المؤمنين بأن ألف بين قلوبهم وهداهم إلى الصراط المستقيم ، وهو في آيات أخرى ينبه على نتيجة التنازع والاختلاف ، ويؤكد في غيرها على اتفاق دعوة الأنبياء وأن دينهم جميعاً هو الاسلام وإن اختلفت شرائعهم ، ثم يشير في آيات أخرى فيذكر تفرق أهل الكتاب على سبيل الذم للتحذير من مشابهتهم في ذلك ، إلى آخر تلك الأساليب ليعلم المسلم من خلال ذلك خطورة التفرق ، وشدة ضرره على الفرد والمجتمع ، ويدرك أهمية الاجتماع والاتفاق ، وجاء النهي عن التفرق في الآيات المكية في جميع المواضع ، عدا موضع واحد في سورة آل عمران وهي من السور المدنية[1] ، مع أنه لم يكن للمسلمين في ذلك الوقت . في مكة . جماعة لها كيانها واستقلالها ، وذلك إشارة عناية القرآن بهذا الأمر من أول أيام تأسيس الأمة ، ومن العسير جمع كل الآيات التي تنهى عن التفرق واستقراءها في بحث كهذا فاكتفيت بالإشارة إلى شيء منها وفي هذا الفصل اذكر الآيات التي تنهى عن التفرق وتأمر بالاجتماع صراحة مرتباً الآيات حسب النزول وجعلته في ستة مباحث فنقول وبالله التوفيق:

(١) وسيأتي في المبحث السادس من هذا الفصل .

❖ **المبحث الأول : أهمية الاجتماع وخطر التفرق .**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [1].

- **مناسبة الآية لما قبلها :**

جاءت هذه الآيات في ثنايا قصة بني إسرائيل حين اتخاذهم العجل بعد أن ذهب موسى لميقات ربه ، وكان من ابتلاء الله لهم أنهم حملوا معهم من أموال آل فرعون أشياء لاتحل لهم ؛ فلما علم بها هارون أمرهم بجمعها وحرقها و"كان السامري قد بصر يوم الغرق بأثر الرسول، فسولت له نفسه أن يأخذ قبضة من أثره، وأنه إذا ألقاها على شيء يصبح حياً ، فتنة وامتحانا، فألقاها على ذلك العجل الذي صاغه بصورة عجل، فتحرك العجل، وصار له خوار وصوت؛"[2] فأخرج الله لهم عجلاً من الذهب وله خوار فتنة لهم وابتلاء[3] ، وأطلع الله نبيه موسى على ما حدث فرجع غضبان أسفاً ، ولما رآى حال قومه ألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ويلومه في تركهم على هذا المنكر العظيم فاعتذر هارون بما حكاه الله عنه في الآيات أعلاه...

- **سبب ذكر قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم :**

لم يذكر الله في كتابه قصص نبي من الأنبياء ما ذكر من خبر موسى ﷺ وقومه ، ولعل هذا يشير إلى تشابه بداية الدعوة بين النبيين الكريمين ، وتشابه في تأسيس الأمة بين ما حدث لموسى ، وما لقيه الرسول ﷺ. في مكة وقد بقي فيها دهراً يؤذى هو وأصحابه ، وهو حال موسى مع فرعون وقومه ، ثم خرج موسى بقومه ، وكذلك خرج نبينا ﷺ والمسلمون إلى المدينة ، ولهذا نجد أن الرسول ﷺ يتأسى بموسى ﷺ في مواقف وخذ من أمثلة ذلك :

١. ما أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قِبل حنين ، فمررنا بسدرة ، فقلت: يا نبي الله، اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة، ويعكفون حولها، فقال النبي ﷺ:" الله أكبر ،هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى:﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[4] ، إنكم تركبون سنن الذين من قبلكم " [5].

٢. ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين، قال: رجل من الأنصار: ما أراد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فتغير وجهه ثم قال: «رحمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر».[6]

---

(١) سورة طه الآية رقم: ٩٢ – ٩٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١١)

(٣) قال بعض العلماء: جعل الله بقدرته ذلك الحلي المصوغ جسداً من لحم ودم، وهذا هو ظاهر قوله : عجلاً جسداً.وقال بعض العلماء: لم تكن تلك الصورة لحما، ولا دما، ولكن إذا دخلت فيها الريح صوتت كخوار العجل. والأول أقرب لظاهر الآية، والله تعالى قادر على أن يجعل الجماد لحما ودما، كما جعل آدم لحما ودما وكان طينا. أضواء البيان بالقرآن (٧٩/٤).

(٤) الأعراف: ١٣٨

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/ ٢٣١) رقم الحديث (٢١٩٠٠) .وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ١٥٩) ، (٦٤) كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف ، رقم الحديث (٤٣٣٥) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ .

وأيضاً فأول أمة جاورها المسلمون وقاتلوها هم اليهود مع أن أكثر السور التي نزلت وفيها أخبارهم كانت مكية وهي أيضاً إشارة إلى استمرار الصراع معهم ، وأن صفة المتأخر وحاله مع أمر الله كصفة المتقدم سواء بسواء ، هذا بعض ما يجده الدارس والمتأمل وإلا فإن تتبع الحكم من ذلك أمر يطول .

- **أقوال المفسرين في الآية :**

قال الطبري : يقول تعالى ذكره: قال موسى لأخيه هارون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته إياهم على ما كان من خطأ فعلهم: يا هارون أي : شيء منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم، فكفروا بالله وعبدوا العجل ألا تتبعني[1].

- **الخلاف في المعنى الذي لام موسى عليه أخاه من تركه اتباعه:**

اختلف المفسرون في ذلك على أقوال :

الأول : ألا تتبعني في الخروج ولا تقم مع من ضل[2]. عن ابن عباس ، قال: لما قال القوم : ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[3] أقام هارون فيمن تبعه من المسلمين ممن لم يُفتتن ، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل، وتخوّف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى : ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[4]وكان له هائباً مطيعاً[5]." والاستفهام في قوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾ إنكاري، أي : لا مانع لك من اللحاق بي؛ لأنه أقامه خليفة عنه فيهم فلما لم يمتثلوا أمره كان عليه أن يرد الخلافة إلى من استخلفه". وهو قول ابن جرير ، وابن عطية ، والقرطبي[6] .

الثاني : ألا تتبعني فتخبرني بما فعل بنو إسرائيل لأبادر بالرجوع إليهم وذهب إليه ابن كثير،وابن سعدي[7].

الثالث : ألا تتبع عادتي في منعهم والإنكار عليهم. عاتبه موسى في تركه القتال، يعني: لو كنت أنا مكانك كنت أقاتلهم، فهلا فعلت مثل ذلك . ورجحه السمعاني والبغوي والزمخشري .[8]

- **اختلاف أهل العلم في صفة التفريق بينهم الذي خشيه هارون ﷺ :**

القول الأول: خاف هارون أن يسير بمن أطاعه وأقام على دينه في أثر موسى، ويخلف عبدة العجل، وقد قالوا له ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [9]فيقول له موسى:﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[10].

---

(١) تفسير الطبري (٣٥٩/١٨)

(٢) انظر تفسير الطبري (٣٥٩/١٨) ، وتفسير السمعاني (٣٥١/٣) ، وزاد المسير (١٧٢/٣) ، وتفسير القرطبي (٢٣٩/١١).

(٣) طه: ٩١ .

(٤) طه: ٩٤ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٥٩) .

(٦) انظر تفسير الطبري(٣٦٠/١٨)،المحرر الوجيز(٦٠/٤)، تفسير القرطبي(٢٣٩/١١)،التحرير والتنوير(٢٩١/١٦).

(٧) انظر تفسير ابن كثير (٥/ ٣١٢) ، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١٢).

(٨) انظر تفسير السمعاني (٣٥١/٣) ، وتفسير البغوي (٢٩١/٥) ، والكشاف (٨٣/٣) .

(٩) طه: ٩١ .

(١٠) طه: ٩٤ .

بسيرك بطائفة، وتركك منهم طائفة وراءك[1].

القول الثاني : "أنه أراد أني خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضا. وخشيت أن تقول: جعلتهم أحزابا، فحزب عبدوا العجل، وحزب قاتلوا، وحزب أمسكوا عن القتال، والتبس عليهم أنه هل يجوز القتال أو لا؟ ، وحزب أنكروا لم يقاتلوا؟ فكل هذا التفرق كان جائزاً لو قاتل هارون فرأى أن الرفق أن يكف يده. [2]."

الراجح من هذه الأقوال :

القول الثاني وإن كان له وجه قوي إلا أن القول الأول هو الأولى وهو اختيار ابن جرير . رحمه الله . حيث قال: وأولى القولين في ذلك بالصواب ، القول الذي قاله ابن عباس : من أن موسى عذل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان، فقال له هارون: إني خشيت أن تقول، فرقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وجئت ببعضهم، وذلك بيّن في قول هارون للقوم:﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾ [3]، وفي جواب القوم له وقيلهم : ﴿ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾ [4].انتهى [5]

ففهم بنو إسرائيل ممن عبد العجل من قول هارون :﴿ فَٱتَّبِعُونِي ﴾. أنه المسير فأجابوا بأنا لن نبرح ، وهذا القول بعد أن أنكر عليهم ، وكادوا يقتلونه ، ولهذا عذر موسى أخاه هارون بعد علمه بما صنع ، قال الله جل وعلا : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [6].

"وحاصل اعتذاره عليه السلام إني رأيت الإصلاح في حفظ الدهماء والمداراة معهم وزجرهم على وجه لا يختل به أمر انتظامهم واجتماعهم ، ولا يكون سببا للومك إياي إلى أن ترجع إليهم فتكون أنت المتدارك للأمر حسبما تراه ؛ لا سيما والقوم قد استضعفوني وقربوا من أن يقتلوني[7]" .

وما وقع من هارون ﷺ: " اجتهاد منه في سياسة الأمة إذ تعارضت عنده مصلحتان مصلحة حفظ العقيدة ، ومصلحة حفظ الجامعة من الهرج. وفي أثنائها حفظ الأنفس ، والأموال ، والأخوة بين الأمة فرجح الثانية، وإنما رجحها ؛ لأنه رآها أدوم فإن مصلحة حفظ العقيدة يستدرك فواتها الوقتي برجوع موسى وإبطاله عبادة العجل ، حيث غيّوا عكوفهم على العجل برجوع موسى، بخلاف مصلحة حفظ الأنفس والأموال واجتماع الكلمة إذا انثلمت عسر تداركها"[8].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٣٥٩/١٨) .

(٢) انظر تفسير الطبري (٣٦٠/١٨) ، والتفسير البسيط (١٤/ ٥٠٥) ،والنكت والعيون (٣٥١/٣).

(٣) طه: ٩٠.

(٤) طه: ٩١ .

(٥) انظر تفسير الطبري (٣٦٠/١٨) .

(٦) الأعراف: ١٥٠ – ١٥١.

(٧) روح المعاني (٨/ ٥٦١) .

(٨) التحرير والتنوير(٢٩٣/١٦).

"فإن قال قائل: هل تقولون إن هارون خالف موسى فيما طلب منه، وأنه داهن عبدة العجل، ولم يشدد في منعهم عنها؟ والجواب: أن موسى لم يطلب من هارون إلا أن يخلفه في قومه، وأن يرفق بهم، فرأى هارون أن لا يقاتلهم، وأن الإمساك عن قتالهم أصلح، ورأى موسى أن يقاتلهم، ورأى أن القتال أصلح، فهذا رأي مجتهد خالف رأي مجتهد ، ولا عيب فيه" .[1] ولم يأت في كتاب الله أن هارون استغفر ربه من هذا الاجتهاد.

ومن هنا تلاحظ أهمية اجتماع الأمة ، ووحدة الصف ، وأن خلل العقيدة يؤدي إلى التفرق ، ولهذا فإن سلامة العقيدة ونقائها وصفائها من أهم أسباب الاجتماع والائتلاف ؛ وكذلك خطورة الافتيات على ولي الأمر ، ووجوب الرجوع إليه في قضايا الأمة المصيرية ، ولهذا لما رجع موسى ﷺ باشر معالجة الخلل العقائدي الذي أدى إلى تفرق بني إسرائيل بما حكاه الله لنا في مواضع من كتابه منها قوله عز وجل: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[2].وجاءت قصة هذا الحدث في سورة من أوائل السور نزولاً على الرسول ﷺ لتكون درساً لهذه الأمة وهي في بداية تكوينها وتأسيسها ، ومما يشعرك بحكمة ذلك أنه جاء في نهايتها قوله سبحانه : ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾[3]فنسأله سبحانه أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يوحد صفوفهم على الحق والهدى ، وأن يردهم إلى دينه رداً جميلاً إنه جواد كريم .

---

(١) تفسير السمعاني (٣/ ٣٥٠).

(٢) طه: ٩٥ – ٩٨ .

(٣) طه: ٩٩ .

❖ **المبحث الثاني : التفرق نوع من أنواع العذاب :**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [1].

- **مناسبة الآية لما قبلها :**

استئناف ابتدائي عقب به ذكر النعمة التي في قوله: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم ﴾[2]بذكر القدرة على الانتقام، تخويفاً للمشركين. [3].

. **أقوال المفسرين في الآية :**

وهذه الآية تتناول جميع أنواع العذاب التي يمكن نزولها من فوق، وظهورها من أسفل. والعذاب المذكور في الآية من العلماء من حمله على حقيقته فقال : ينزل عليهم من فوق كمطر قوم نوح والصاعقة ، والصيحة ، وكما حُصب قوم لوط ، والطير الأبابيل ، وماكان من تحت أرجلهم كالخسف وحبس المطر والنبات وغور الماء ونحوه ، ومنهم من حمل اللفظ على مجازه فقال : ﴿ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾: أي من الأمراء، ومن تحت أرجلكم من العبيد والسفلة. وهذا مروي عن ابن عباس[4] .

"ولكن من رحمته،أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بالرجم والحصب ونحوه، ومن تحت أرجلهم بالخسف"[5].

فعن جابر . ﷺ . قال: لما نزلت هذه الآية:﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» فلما نزلت: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هاتان أهون أو أيسر[6] ».

قال البخاري في صحيحه :﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ ﴾ : يخلطكم من الالتباس﴿ شِيَعًا ﴾:فرقا[7] .

قال الطبري : وأما قوله:﴿ يَلْبِسَكُمْ ﴾ فهو من قولك:"لَبَسْتُ عليه الأمر"، إذا خلطت،"فأنا ألبِسه". وإنما قلت إن ذلك كذلك، لأنه لا خلاف بين القراء في ذلك بكسر"الباء"، ففي ذلك دليل بَيِّنٌ على أنه من:"لَبَس يلبِس"، وذلك هو معنى الخلط. وإنما عنى بذلك: أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزابًا مفترقة.[8]

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم (٦٥).

(٢) سورة الأنعام الآية رقم (٦٣).

(٣) التحرير والتنوير (٢٨٣/٧) .

(٤) تفسير الرازي (٢٠/١٣) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٢٠/١٣) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع منها (٥٦/٦) (٦٥) كتاب التفسير ، باب في قول الله تعالى : قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم" ، رقم الحديث (٤٦٢٨).

(٧) صحيح البخاري (٥٦/٦).

(٨) تفسير الطبري (١١/ ٤١٩) .

وهذا الذي ذكره البخاري ، والطبري هو قول جميع المفسرين في معنى الآية وعليه الاجماع عندهم [1] . قال ابن عطية : قال المفسرون : "هو افتراق الأهواء والقتال بين الأمة" .[2]

﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ قال الماوردي فيه تأويلان:

أحدهما: أنها الأهواء المختَلَقَة ، قاله ابن عباس. والثاني: أنها الفتن والاختلاف ، قاله مجاهد. ويحتمل ثالثاً: أي يسلط عليكم أتباعكم الذين كانوا أشياعكم ، فيصيروا لكم أعداء بعدما كانوا أولياء ، وهذا من أشد الانتقام أن يستعلي الأصاغر على الأكابر.[3]

قال ابو البقاء وغيره : "والجمهور على فتح الياء من﴿ يَلْبِسَكُمْ ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أنه بمعنى يخلطكم فِرقاً مختلفين على أهْوَاء شَتَّى كل فرقة مُشَايعة لإمام، ومعنى خَلْطِهِم: إنْشابُ القتالِ بينهم، فيختلطون في ملاحم القتال كقول الشاعر:

وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ ... حَتَّى إِذَا الْتَبَسَتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي

فَتَرَكْتُهُمْ تَقِصُ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُم ... مَا بَيْنَ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدِ[4]

والوجه الثاني : تَثبتُ فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقا. وقيل :يُقوى عدوكم حتى يخالطوكم.

ويُقرأ : ﴿ يُلبسكم ﴾ بضم الياء من «ألبس» رباعياً، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المفعول الثاني محذوفاً تقديره: أو يلبسكم الفتنة. و﴿ شِيَعًا ﴾ على هذا حال أي: يُلْبِسكم الفتنة في حال تفرُّقكم وشتاتكم.

والثاني: أن يكون ﴿ شِيَعًا ﴾ هو المفعولُ الثاني كأنه جعل الناسَ يلبسون بعضَهم مجازاً كقوله:

لَبِسْتُ أناساً فَأَفْنَيْتُهمْ ... وأَفْنَيْتُ بعد أُناسٍ أُناسا[5] [6]

"وأصل معنى اللبس التغطية، كاللباس، وهذا التفريق والاختلاف بين الشيع كالغطاء، يستر عن كل شيعة ما عليه الأخرى من الحق، وما في الاتفاق معها من المصلحة والخير ". [7]

---

(١) انظر التفسير البسيط (٨/ ٢٠٤) .

(٢) المحرر الوجيز (٣٠٣/٢).

(٣)النكت والعيون (٢/ ١٢٦) .

(٤) البيتين من الكامل للفرّار السلمي يمدح نفسه بأنه مهياج للشر يعرف مداخله ومخارجه. يقول: رب جماعة خلطتها بأخرى، حتى إذا تم اختلاطهما تخلصت منهما وتركتهما ونفض اليد: كناية عن التخلص. والوقص: الدق والكسر. والمنعقر: المجروح بالسهم، فتنقطع قوته من العقر وهو القطع. ويروى: منعفر، بالفاء أى: متعفر بالتراب. والمسند: اسم مفعول، أى : دابرين بين ساقط ومتكئ على غيره. انظره وخبره في الحيوان للجاحظ (١٠٣/٥) ، وعيون الأخبار (٢٥٥/١).

(٥)البيت من المتقارب للنابغة الجعدي يذكر طول عمره وهو في الشعر والشعراء(٢٧٥/١)،ولسان العرب(١٧/٦).

(٦)انظر التبيان في إعراب القرآن (٥٠٥/١) ،والبحر المحيط (٥٤٤/٤)،والدر المصون(٦٧١/٤)،واللباب (/).

(٧) تفسير المنار (٧/ ٤٠٨) . وانظر مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٤٢) ،لسان العرب (٦/ ٢٠٤) .

- **اختلف المفسرون فيمن أراده الله بهذه الآية على ثلاثة أقوال :**

. الأول : أنها في المسلمين أهل الصلاة، قاله : ابي بن كعب ، وابن عباس، وجابر ، وشداد ابن أوس وأبي العالية، وقتادة وغيرهم وروي عن الحسن [١]. قال أُبي بن كعب في هذه الآية: هن أربع خلال، وكلُّهن عذاب، وكلُّهن واقع قبل يوم القيامة، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة[٢]، أُلبسوا شيعاً، وأذيق بعضهم بأس بعض. وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرجم.

. الثاني: أن العذاب للمشركين، وباقي الآية للمسلمين، قاله الحسن[٣].

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته أن لا يصيبكم بعذاب أصابه مَن كان قبلكم، فأعطانيها، وسألته إن لا يسلِّط عليكم عدواً يستبيح بيضتكم، فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض، فمنعنيها» [٤].

والثالث: أنها تهدُّدٌ للمشركين، وهو اختيار ابن جرير الطّبريّ[٥] ، وأبو سليمان الدّمشقي.[٦] وابن عطية[٧] وأبو حيان[٨] ، قال ابن جرير . رحمه الله . " والصواب من القول عندي أن يقال: إنّ الله تعالى ذكره توعَّد بهذه الآية أهلَ الشرك به من عبدة الأوثان، وإياهم خاطبَ بها ؛ لأنها بين إخبار عنهم وخطاب لهم، وذلك أنها تتلو قوله: ﴿ **قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ** ﴾ [٩]ويتلوها قوله:" ﴿ **وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ** ﴾[١٠]وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين، كان بيّنًا أن ذلك وعيدٌ لمن تقدّم وصف الله إياه بالشرك، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب . لا لمن لم يجر له ذكر. غير أن ذلك وإن كان كذلك، فإنه قد عم وعيدُه بذلك كلَّ من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها[١١].

وقال القرطبي :هي عامة في المسلمين والكفار .[١٢]

---

(١) انظر تفسير الطبري (٤٢١/١١) وما بعدها، والنكت (١٢٧/٢) ، والمحرر(٣٠٢/٢)،وزاد المسير (٤٠/٢).

(٢) يشير إلى الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان رضي الله عنه وما بعدها .

(٣) انظر تفسير الطبري (٤٣٠/١١)، والهداية الى بلوغ النهاية (٣/ ٢٠٥٦) ، وزاد المسير (٤٠/٢).

(٤) الحديث أخرجه بنحوه مسلم في صحيحه (٢٢١٥/٤) (٥) باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٢٨٨٩) من حديث ثوبان ﷺ . وليس فيه :"أن لا يصيبكم بعذاب أصابه مَن كان قبلكم".

(٥) تفسير الطبري (٤٣٠/١١) . وانظر النكت (١٢٧/٢) ، والمحرر الوجيز (٢/ ٣٠٢) ، وزاد المسير (٤٠/٢).

(٦) انظر النكت (١٢٧/٢) ، والمحرر الوجيز (٢/ ٣٠٢) ، وزاد المسير (٤٠/٢).

(٧) انظر المحرر الوجيز (٢/ ٣٠٢).

(٨) انظر البحر المحيط (٤/ ٥٤٣).

(٩) سورة الأنعام: الآيتين رقم (٦٣ – ٦٤).

(١٠) سورة الأنعام: الآية رقم (٦٦).

(١١) تفسير الطبري (٤٣٠/١١) وما بعدها.

(١٢) تفسر القرطبي (٩/٧) .

والذي يظهر لي : ترجيح القول الأول ؛ لأن الآية وإن كانت نزلت خطاباً للمشركين في مكة فإنها عامة للأمة ممن وقع فيما يستوجب سخط الله وعقابه ، والعبرة بعموم اللفظ . قال ابن جرير : وأما الذين تأوّلوا أنه عني بجميع ما في هذه الآية هذه الأمة، فإني أراهم تأوّلوا أن في هذه الأمة من سيأتي من معاصي الله وركوب ما يُسخط الله، نحو الذي ركب مَن قبلهم من الأمم السالفة ، من خلافه والكفر به ، فيحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من المثلات والنقمات "[1].

ويدل لذلك قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [2] . قال الراغب " فذكر ما لهم من عظيم العذاب في الآخرة بالنار الدائمة ، وفي الدنيا بمحنها ونُوبها. ونبه بقوله: ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أن سبب استحقاقهم العذاب افتراقهم واختلافهم، تنبيهاً أنكم إن فعلتم فعلهمْ استحققتم العذاب استحقاقهم "[3].

(١) تفسير الطبري (٤٣١/١١) وما بعدها.

(٢) سورة آل عمران : آية رقم (١٠٥) .

(٣) انظر تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٧٧٨).

❖ **المبحث الثالث : الأمر باتباع صراط الله المستقيم والنهي عن اتباع السبل :**

يقول المولى عز وجل :﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١).

ـ مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين سبحانه كثيرا من الأوامر الكبار، والشرائع المهمة، أشار إليها وإلى ما هو أعم منها فقال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ أي: هذه الأحكام وما أشبهها، مما بينه الله في كتابه، ووضحه لعباده، صراط الله الموصل إليه، وإلى دار كرامته، المعتدل السهل المختصر(٢).

. اختلاف القراءات في (وأن) وأثره في المعنى :

يُقرأ ﴿ وَأَنَّ ﴾(٣) من قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ بالتشديد فيكون راجعاً إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾(٤) ويكون مما أمر الله نبيه ﷺ أن يقوله للمشركين .

ويُقرأ ﴿ وَإِنَّ ﴾ (٥) : والمعنى على هذه القراءة مستأنف على الابتداء ومنقطع عن الأول إذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التي أوصى الله بها عباده دونه عندهم (٦) " وهي على هذه القرآءة ليست داخلة في المحرمات التي أمر الله نبيه أن يتلوها على المشركين .

. أقوال المفسرين في الآية :

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنا عند النبي ﷺ فخط خطاً، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: «هذا سبيل الله» ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (٧) .

وروى ابن جرير بسنده : " أن رجلا قال لابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفُه في الجنة، وعن يمينه جوادُّ، وعن يساره جَوَادُّ، وثمَّ رجال يدعون من مرّ بهم. فمن أخذ في تلك الجوادِّ انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ الآية(٨).

---

(١) سورة الأنعام: الآية رقم (١٥٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٢٨٠).

(٣) انظر شرح طيبة النشر لابن الجزري (ص: ٢٣٠). والكنز في القراءات العشر (٢/ ٤٧٦).

(٤) سورة الأنعام: الآية رقم (١٥١).

(٥) انظر شرح طيبة النشر لابن الجزري (ص: ٢٣٠). والكنز في القراءات العشر (٢/ ٤٧٦).

(٦) تفسير الطبري (٢٣١/١٢) وما بعدها.

(٧) سورة الأنعام : الآية رقم (١٥٣).والحديث أخرجه ابن ماجة في سننه(٦/١) كتاب الإيمان،باب اتباع سنة رسول الله ﷺ. رقم الحديث(١١)وصححه الألباني ،وأخرجه أحمد في مسنده (٤١٧/٢٣)رقم الحديث(١٥٢٧٧).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٠/١٢).

"قال ابن عباس: هذه الآيات محكمات لم ينسخهنّ شيء في جميع الكتب وهنّ محرّمات على بني آدم كلّهم وهنّ أمّ الكتاب من عمل بهن دخل الجنّة ومن تركهن دخل النار.

قال كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده إنّ هذا لأوّل شيء في التوراة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ....قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[1] الآيات.

وقال الربيع بن خيثم لأصحابه: ألا أقرأ عليكم صحيفة عليها خاتم محمد ﷺ لم يفك فقرأ هذه الآية ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ يعني : ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ في هاتين الآيتين [2] ".

قال مجاهد : في قول الله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ قال: البدع والشبهات[3].

وجمهور المفسرين[4] يفسرون السبل بأنها البدع والضلالات وهذا مروي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد [5] ، وأن عاقبتها التفرق واختلاف الكلمة.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره للآية " قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك مَنْ كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله[6].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد عماله : أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون مما قد جرت سنته، وكفوا مؤنته، فعليكم بلزوم السنة، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ قد كفّوا ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى وبفضل لو كان فيه أجرى فلئن قلتم: أمرٌ حدث بعدهم، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون، فقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم مخسر، لقد قصر عنهم آخرون فضلوا وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم "[7]

قال الطبري : " يقول تعالى ذكره: وهذا الذي وصاكم به ربكم، أيها الناس، في هاتين الآيتين من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[8] ،وأمركم بالوفاء به، هو: صراطه ؛ يعني : طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده ﴿مُسْتَقِيمًا﴾،يعني: قويمًا لا اعوجاج به عن الحق ، ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾. يقول: فاعملوا به،

---

(١) سورة الأنعام: الآية رقم (١٥١).

(٢) الكشف والبيان (٤/٢٠٥) .

(٣) الكشف والبيان (٤/٢٠٥).

(٤) تفسير الطبري (١٢/٢٣٠).

(٥) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٦٩٢).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٢٣٠).

(٧) الأثر أخرجه أبو داوود في سننه (٧/٢٢) كتاب السنة ، (٧) باب لزوم السنة رقم الأثر (٤٦١٢) من حديث سفيان الثوري .وذكره الآجري في الشريعة (٢/٩٣٠).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٢٢٩).

واجعلوه لأنفسكم منهاجًا تسلكونه،﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ ، يقول: ولا تسلكوا طريقًا سواه، ولا تركبوا منهجًا غيره، ولا تبغوا دينًا خلافه ، من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان، وغير ذلك من الملل، فإنها بدع وضلالات ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾، يقول: فيشتّت بكم، إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان، اتباعُكم إياها ﴿ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾، يعني: عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه، وهو الإسلام الذي وصّى به الأنبياء، وأمر به الأمم قبلكم ، ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ ، يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصاكم به ربكم من قوله لكم:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ ، ﴿ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، يقول: لتتقوا الله في أنفسكم فلا تهلكوها، وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها، فيحل بكم نقمته وعذابه[1].

قال ابن عطية : وهذه الآية تعم أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد[2].

قال ابن كثير : وإنما وحد سبحانه سبيله لأن الحق واحد؛ ولهذا جمع لتفرقها وتشعبها، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3] [4] .

وهو سبحانه حين فصل في الآيات السابقة من بيان تحريم الشرك ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ....إلخ أجمل في هذه الآية لتشمل ما ورد في الآيتين السابقتين ، وما سبق في السورة من أحكام ، "لأنها كلها في التوحيد ، وأدلة النبوة ، وإثبات الدين وإلى هذه الآيات التي أعقبتها هذه الآية لأنها المحكمات التي لم تنسخ في ملة من الملل[5]" ولتشمل الشريعة كلها ، والمقصود منها ما أمر به سبحانه من اتباع الصراط المستقيم وهو اتباع الرسول ﷺ واتباع ماجاء به ، وفي الوقت نفسه يبين سبحانه أن اتباع السبل الأخرى يؤدي إلى التفرق عن سبيل الله ، وأنه لا يمكن الجمع بين اتباع الصراط المستقيم واتباع السبل الأخرى كما يزعمه المنافقون.

قال القرطبي : فالهرب الهرب، والنجاة النجاة! والتمسك بالطريق المستقيم والسنن القويم، الذي سلكه السلف الصالح، وفيه المتجر الرابح[6].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢٨/١٢) وما بعدها.

(٢) المحرر الوجيز (٣٦٤/٢).

(٣) سورة البقرة الآية رقم (٢٥٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٦٧/٣).

(٥) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٦٩٢).

(٦) تفسير القرطبي (١٣٨/٧).

❖ **المبحث الرابع: الوعيد الشديد لمن اتبع غير سبيل الله :**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (١).

مناسبة الآية لما قبلها :

يقول أبو حيان "لما ذكر تعالى أن صراطه مستقيم ، ونهى عن اتباع السبل ، وذكر موسى عليه السلام وما أنزل عليه ، وذكر القرآن وأمر باتباعه ، وذكر ما ينتظر الكفار مما هو كائن بهم ، انتقل إلى ذكر من اتبع السبل فتفرقت به عن سبيل الله لينبه المؤمنين على الائتلاف على الدين القويم، ولئلا يختلفوا كما اختلف من قبلهم من الأمم بعد أن كانوا متفقين على الشرائع التي بعث أنبياؤهم بها والذين فرقوا دينهم الحرورية أو أهل الضلالة من هذه الأمة أو أصحاب البدع أو الأهواء منهم(٢)" .

ـ القراءات في (فرقوا) وأثره في المعنى :

واختلف القراء في قوله تعالى : ﴿ فَرَّقُواْ ﴾ . فقرأ حمزة والكسائي بتخفيف الراء وألف قبلها (فارقوا) من المفارقة(٣) .

قال الفراء:"قرأها علي (فارقوا) ،وقال: والله ما فرَّقوه ولكن فارقوه. وهم اليهود والنصارى(٤).

وقرأ الباقون بتشديدها ولا ألف﴿ فَرَّقُواْ ﴾ (٥)ويكون المعنى : آمنوا ببعض، وكفروا ببعض (٦).

المراد بالذين فرقوا دينهم :

اختلف المفسرون في المراد بالذين فرقوا دينهم في الآية فقيل :"أنهم اليهود خاصة ، قاله مجاهد. والثاني: اليهود والنصارى قاله قتادة. والثالث: أنهم جميع المشركين قاله الحسن. والرابع: أهل الضلالة من هذه الأمة ، قاله أبو هريرة"ﷺ.(٧)وقيل:هم الخوارج(٨)،ولعل الصواب أنها تشمل الجميع ،وما روي عن السلف هو تمثيل لا حصر.

فقد ذكر الله جل شأنه في عدد من الآيات أن أهل الكتاب تفرقوا فقال سبحانه محذرا من سلوك سبيلهم: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴾ (٩) .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (١٠).

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم (١٥٩).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٤/٧٠٠).

(٣) انظر الكنز في القراءات العشر (٢/ ٤٧٦) ، والمكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر (ص: ١٢٤) .

(٤) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٦٦).

(٥) الكنز في القراءات العشر (٢/ ٤٧٦) ، والمكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر (ص: ١٢٤) .

(٦) زاد المسير (٢/٩٦٦).

(٧) النكت والعيون (٢/ ١٩٢) ، وانظر زاد المسير (٢/٩٦٦).

(٨) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٧٠٠).

(٩) سورة البينة الآية رقم (٤).

(١٠) سورة آل عمران الآية رقم (١٠٥).

قال أبو أمامة: هم الحرورية، وروي في ذلك حديث[1].

قال قتادة: هم أصحاب البدع من هذه الأمة[2].

وبين أيضاً أن المشركين تفرقوا فقال جل ذكره :﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾[3].

وفي الآية تبرئة للرسول ﷺ من سلوك طريق من فرّق دينه ليتبين للمسلم من هذا أن منهج الأنبياء الاجتماع على الدين الذي هو التوحيد والدعوة إليه ؛ ولهذا وصف الله نبيه في هذه الآية بأنه ليس من أولئك الذين فرقوا دينهم ولا ينبغي له أن يكون وهو أيضاً توجيه وتحذير للمؤمنين من التفرق في الدين شيعاً وأحزاباً .

ـ أول من فارق الديانة والجماعة :

وأول من فارق الديانة والجماعة إبليس حين أُمر بالسجود فاستكبر ولم يسجد وفسق وخرج عن طاعة ربه يقول المولى سبحانه ذاكراً لقصته ومعاتباً بني آدم كيف أنه إنما طرده ؛ لأنه عصى الأمر ولم يسجد لأبيهم ثم هم يتخذونه وذريته أولياء من دونه سبحانه ، فقال عز وجل :﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾[4]

وقد أقسم عدو الله أن يغوي بني آدم إلا عباد الله المخلصين ودارت المحاورة بينه وبين ربه في ذلك مما حكاه الله بقوله :﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[5] .

---

(١) الحديث أخرجه مطولاً الطبراني في الكبير (٢٦٨/٨) رقم الحديث (٨٠٣٥) عن أبي غالب قال: كنت بالشام، فبعث المهلب سبعين رأساً من الخوارج، فنصبوا على باب المسجد، وكنت على ظهر بيت لي، فمر أبو أمامة يريد المسجد، فلما وقف عليهم دمعت عيناه، فقال: «سبحان الله، ما يفعل الشيطان ببني آدم» – ثلاثاً – ثم قال: «كلاب جهنم شر قتلى تحت ظل السماء» – ثلاث مرات – ثم قال: «خير قتلى تحت ظل السماء من قتلوه» – ثلاثاً – ثم التفت إلي فقال: «يا أبا غالب، إنك بأرضٍ هؤلاء بها كثير، فأعاذك الله منهم. هل تقرأ السورة التي فيها آل عمران؟» قلت: بلى، إني رأيتك دمعت عيناك. قال: «بكيت رحمة لهم، كانوا من أهل الإسلام» ... قلت: هؤلاء يا أبا أمامة؟ قال: «نعم» . قلت: يا أبا أمامة من قبل رأيك تقول، أم شيئا سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: «إني لجريء – ثلاثاً – بل شيء سمعته من رسول الله ﷺ لا مرة، ولا مرتين حتى بلغ ستة» والحديث مختصراً في مسند أحمد (٥٢٠/٣٦) برقم (٢٢١٨٤) قال المحقق شعيب الأرناؤوط حديث صحيح .

(٢) انظر البحر المحيط (٢٩١/٢).

(٣) سورة الروم الآيتين رقم (٣١-٣٢).

(٤) سورة الكهف الآية رقم (٥٠).

(٥) سورة الحجر الآيتين رقم (٣٩-٤٠).

وقارن بين حجة إبليس في مفارقته لجماعة الملائكة وعصيانه لأمر ربه في قوله جل وعلا: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ (١).وبين قول قوم نوحﷺ : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ (٢).

وبما قاله قوم هودﷺ : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (٣).

وبما قاله كفار مكة لنبينا ﷺ:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾(٤). إذا تأملت هذا علمت أن إبليس هو أسوة من فرق دينه وفارق الجماعة ، هو احتج على ربه ، وعصى أمره ، وهولاء عصو رسل الله ، وحجتهم هي بعينها حجته ، وتعلم أيضاً أنه لم يحنث في قسمه حين قال: ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٥) وهم يحسبون أنهم على شيء نسأله سبحانه الأسوة الحسنة ونعوذ به من طريق أهل الزيغ والضلال .

و كم جاء في كتاب الله من القصَص والخبر عن الظالمين من أتباعه ممن أغواهم وأجلب عليهم بخيله ورجله وحالهم كما ذكر الله في قوله:﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦).

وقوله : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٧) . والقرآن مملوء بأحوال الأمم السابقة مع أوامر الله التي جاءت بها أنبيائهم ، وكيف استحوذ عليهم ابليس فحل بهم من النكال والعذاب ما هو معلوم في موضعه .

إذاً فالتفرق ليس سبيل الأنبياء ، ولا سبيل الصالحين ؛ بل هو سبيل إبليس ومن تبعه من اهل الشرك والبدع ، وقد نُهينا عن سلوكه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٨)والمعصوم من عصمه الله .

---

(١) سورة الإسراء الآيات رقم (٦١-٦٣).

(٢) سورة الشعراء الآية رقم (١١١).

(٣) سورة هود الآية رقم (٢٧).

(٤) سورة مريم الآية رقم (٧٣).

(٥) سورة الإسراء الآية رقم (٦٢).

(٦) سورة يوسف الآية رقم (١٠٣).

(٧) سورة الأنعام الآية رقم (١١٦).

(٨) سورة الروم الآيتين رقم (٣١ – ٣٢).

❖ **المبحث الخامس: الأمر بإقامة الدين وعدم التفرق فيه:**

وصية الله لجميع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم إقامة الدين وعدم التفرق فيه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِىَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِى شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴾[1].

. مناسبة الآية لما قبلها :

" لما عدد تعالى نعمه عليهم الخاصة، أتبعه بذكر نعمه العامة، وهو ما شرع لهم من العقائد المتفق عليها، من توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وبكتبه وباليوم الآخر، والجزاء فيه. ولما كان أول الرسل نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ قال: ﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾، ثم أتبع ذلك ما وصى به إبراهيم، إذ كان أبا العرب، ففي ذلك هزٌ لهم وبعث على اتباع طريقته ، وموسى وعيسى صلوات الله عليهم ، لأنهما هما اللذان كان أتباعهما موجودين زمان بعثة رسول الله ﷺ. والشرائع متفقة فيما ذكرنا من العقائد، وفي كثير من الأحكام (٢)".

فالمتأمل لهاتين الآيتين وغيرها من الآيات المشابهة يجد حقيقة واحدة أن جميع الأنبياء أمرهم الله بأمر واحدٍ وهو إقامة الدين كما أمر الله ، وأن الأديان كلها جاءت بحفظ الضرورات الخمس ، وأنها متفقة في أصل الدين وإن اختلفت في فروع الشريعة وهو ما يفهم من قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾[3] ؛ فالمراد الإسلام بمعناه العام وهو: الانقياد بالتذلل والخشوع .

قال قتادة في تفسير الآية: والإسلام: شهادة أنّ لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله ، ودلّ عليه أولياءه، لا يقبل غيرَه ولا يجزى إلا به. (٤)

ولهـــــذا قال نوح عليــه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم : ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[5] .

والنص في الآية هنا أن الوصية كانت بإقامة الدين وهو مروي عن ابن عباس . رضي الله عنهما. وجاءت السنة موافقة للقرآن قال عليه الصلاة والسلام : ((الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد))[6].

أي: "القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم"[7] .

---

(١) سورة الشورى الآيتين رقم (١٣ – ١٤).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٣٢٨) .

(٣) سورة الشورى الآية رقم (١٩).

(٤) انظر تفسير الطبري ت شاكر (٦/ ٢٧٥).

(٥) سورة يونس الآية رقم (٧٢).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٣٧/٤) .

(٧) تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٥) .

. أقوال المفسرين في الآيتين :

عن ابن عباس . رضي الله عنهما . في قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ .... إلى آخر الآية، قال: حسبك ما قيل لك[1].

قال الطبري : رحمه الله يقول تعالى ذكره: ﴿ شَرَعَ لَكُم ﴾ ربكم أيها الناس ﴿ مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ أن يعمله ، ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: وشرع لكم من الدين الذي أوحينا إليك يا محمد، فأمرناك به ، ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ ﴾ يقول:شرع لكم من الدين،﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ ﴾ فـ﴿ أَنْ ﴾إذ كان ذلك معنى الكلام، في موضع نصب على الترجمة بها عن﴿ مَا ﴾التي في قوله: ﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ .

ويجوز أن تكون في موضع خفض ردّا على الهاء التي في قوله: ﴿ بِهِ ﴾ ، وتفسيراً عنها، فيكون معنى الكلام حينئذ: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه.

وجائز أن تكون في موضع رفع على الاستئناف، فيكون معنى الكلام حينئذ: شرع لكم من الدين ما وصى به، وهو أن أقيموا الدين.

وإذ كان معنى الكلام ما وصفت، فمعلوم أن الذي أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة، وهي إقامة الدين الحق، ولا تتفرقوا فيه. [2]

وقال قتاده في قوله تعالى :﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾: تعلموا أن الفرقة هلكة، وأن الجماعة ثقة[3]. وقال الطبري "ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتم بالقيام به، كما اختلف الأحزاب من قبلكم. [4]" وقيل :كما تفرقت اليهود والنصارى أمنوا ببعض وكفروا ببعض [5].

وعن قتادة أيضاً في قوله تعالى:﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ قال: أنكرها المشركون، وكبُر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، فصادمها إبليس وجنوده، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها[6].

وقال الطبري : كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله، وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد[7]. "ولعظم ذلك ومشقته عليهم كانوا يكرهون ما أنزل الله، ويجتهدون في عدم سماعه لشدة كراهتهم له، بل يكادون يبطشون بمن يتلو عليهم آيات ربهم لشدة بغضهم وكراهتهم لها.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥١٣) .

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥١٢) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥١٣) . وانظر تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٥) .

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٥١٣) .

(٥) انظر تفسير السمعاني (٥/ ٦٨) ، تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٥) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥١٣) .

(٧) تفسير الطبري (٢١/ ٥١٣) .

والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة في كتاب الله، وفيها بيان أن ذلك هو عادة الكافرين مع جميع الرسل من عهد نوح إلى عهد محمد – صلى الله عليه وسلم[1].

وعن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ يقول: يوفق للعمل بطاعته، واتباع ما بعث به نبيه عليه الصلاة والسلام من الحق من أقبل إلى طاعته، وراجع التوبة من معاصيه[2].

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ ﴾ يعني : أهل الأديان المختلفة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أهل الكتاب كما ذكر في سورة المنفكين[3].

وعن قتادة في قوله تعالى:﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ قال: إياكم والفرقة فإنها هلكة.﴿ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ يقول: بغياً من بعضكم على بعض وحسداً وعداوةً على طلب الدنيا[4].

وقال الطبري : وما تفرق المشركون بالله في أديانهم فصاروا أحزاباً، إلا من بعد ما جاءهم العلم، بأن الذي أمرهم الله به، وبعث به نوحا، هو إقامة الدين الحق، وأن لا تتفرقوا فيه"[5].

وقيل ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من بعد كثرة علمهم للبغي. والثاني: من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال. والثالث: من بعد ما جاءهم القرآن، بغياً منهم على محمد ﷺ [6].

﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴾

"لولا الكلمة السابقة من الله بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد، لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعاً. وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ يعني: الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق ﴿ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴾ أي: ليسوا على يقين من أمرهم، وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا برهان، وهم في حيرة من أمرهم، وشك مريب، وشقاق بعيد[7]."

التوجيه الرباني لنبيه وأتباع نبيه بالاستقامة وعدم اتباع أهواء أهل الضلال :

قال تعالى:﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ الآية [8] .

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٦٢) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥١٤) .

(٣) تفسير البغوي (١٨٧/٧).

(٤) تفسير الطبري (٥١٤/٢١) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥١٤) .

(٦) زاد المسير (٤/ ٦١) .

(٧) تفسير ابن كثير (١٩٥/٧) .

(٨) الشورى: ١٥ .

قال ابن عطية: اللام في قوله :﴿ فَلِذَٰلِكَ ﴾ قالت فرقة : هي بمنزلة إلى ، كما قال تعالى : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [1] أي : إليها، كأنه قال: فإلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد فادع.

وقالت فرقة: بل هي بمعنى : من أجل ؛ كأنه قال: فمن أجل أن الأمر كذا ولكونه كذا فادع أنت إلى ربك وبلغ ما أرسلت به. وخوطب عليه السلام بأمر الاستقامة ، وقد كان مستقيماً، بمعنى: دم على استقامتك، وهكذا الشأن في كل مأمور بشيء هو متلبس به إنما معناه الدوام.

وهذه الآية ونحوها كانت نصب عين النبي . ﷺ . وكانت شديدة الموقع من نفسه، أعني قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [2] ؛ لأنها جملة تحتها جميع الطاعات وتكاليف النبوءة، وفي هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام: شيبتني هود وأخواتها، فقيل له: لم ذلك؟ فقال: لأن فيها ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [3] ، وهذا الخطاب له عليه السلام بحسب قوته في أمر الله تعالى وقال هو لأمته بحسب ضعفهم :"استقيموا"[4].[5]

قال ابن رجب : وأصل الاستقامة :استقامة القلب على التوحيد، كما فسر أبو بكر الصديق وغيره قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾[6]، بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته، وإجلاله.ومهابته، ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك، استقامت جنوده ورعاياه، وكذلك فسر قوله عز وجل: (فاقم وجهك للدين حنيفا) ، بإخلاص القصد لله وإرادته وحده لا شريك له.وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح: اللسان، فإنه ترجمان القلب والمعبر عنه [7].

ففي هذه الآيات بين الله انه شرع لنا خير الأديان وأزكاها وأفضلها وهو ما شرعه لأفضل الأنبياء أولوا العزم من الرسل المذكورين في الآية فمن التزم به واستقام عليه سار على السنن القويم والهدى المستقيم ، ثم حذر من طريق أهل الضلال الذين انحرفوا ؛ وأن الحامل لهم على ذلك هو البغي ، وأن ذلك أشنع ما يكون حين يكون العلم سبب في الضلال ؛ وليس سبيل للهداية وذلك حين يختلط بأهواء النفوس وشهواتها ، وحب الدنيا . ثم وجه الصالحين من عباده وأولهم نبيه ﷺ إلى الاستقامة كما أمرهم الله وترك أهواء الذين ضلوا من الأمم السابقة.

قال ابن سعدي "و لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع،

---

(١) الزلزلة: ٥ .

(٢) هود: ١١٢

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في السنن (٥/ ٤٠٢) (٤٤) أبواب التفسير (٥٦) باب ومن سورة الواقعة ، رقم الحديث (٣٢٩١) من حديث ابن عباس بزيادة في آخره وقال الألباني : حسن .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٩٣/٩) (٩٦) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . (٢) باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث (٧٢٨٢) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .ولفظه : «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يمينا وشمالا، لقد ضللتم ضلالاً بعيدا»

(٥) المحرر الوجيز (٣٠/٥) .

(٦) فصلت: ٣٠ .

(٧) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٦٤) .

ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغياً وعدواناً منهم، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم"[1] . فالعاقل من اتعظ بغيره وحذّر نفسه وإخوانه من هذا المسلك الوخيم . فليس بعد هذا بيان نسأله سبحانه الهداية والتوفيق .

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٥٥) .

❖ **المبحث السادس : الأمر بالاعتصام بحبل الله سبب النجاة :**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [1] .

سبب نزول الآيات:

سبب نزول هذه الآية ما أخرجه الواحدي بسنده .. عن عكرمة قال: كان بين هذين الحيين من الأوس والخزرج قتال في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام اصطلحوا وألف الله بين قلوبهم ، وجلس يهودي في مجلس فيه نفر من الأوس والخزرج ، فأنشد شعراً قاله أحد الحيين في حربهم ، فكأنهم دخلهم من ذلك، فقال الحي الآخرون: وقد قال شاعرنا في يوم كذا: كذا وكذا، فقال الآخرون: وقد قال شاعرنا في يوم كذا: كذا وكذا، قال: فقالوا: تعالوا نرد الحرب جذعاً كما كانت، فنادى هؤلاء: يا آل أوس، ونادى هؤلاء يا آل خزرج؛ فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال، فنزلت هذه الآية، فجاء النبي – ﷺ – حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته ، فلما سمعوا صوته أنصتوا له وجعلوا يستمعون إليه، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وجثوا يبكون [2].

. مناسبة الآية لما قبلها:

قال أبو حيان : لما حذرهم تعالى من إضلال من يريد إضلالهم ، أمرهم بمجامع الطاعات ، فرهبهم أولا بقوله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ إذ التقوى إشارة إلى التخويف من عذاب الله، ثم جعلها سبباً للأمر بالاعتصام بدين الله، ثم أردف الرهبة بالرغبة، وهي قوله : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾وأعقب الأمر بالتقوى والأمر بالاعتصام بنهي آخر هو من تمام الاعتصام. [3]

. أقوال العلماء في الآية:

يقول البغوي في معنى هذه الآية : قوله عز وجل: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ الحبل: السبب الذي يتوصل به إلى البغية وسمي الإيمان حبلا ؛ لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف[4].

وقال ابن عطية : اختلفت عبارة المفسرين في المراد في هذه الآية بحبل الله : قال ابن مسعود: حبل الله : الجماعة [5].

---

(١) آل عمران:١٠٢- ١٠٣ .

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (١١٦). قال محقق الكتاب : الخلاصة: أن هذه القصة لم ترد في حديث صحيح مسند، وإنما هي مراسيل وأحاديث ضعيفة، ولعله يشد بعضها بعضا فيثبت أصل الرواية، والله تعالى أعلم.

(٣) البحر المحيط في التفسير (٣/٢٨٥).

(٤) تفسير البغوي – طيبة (٢/ ٧٨).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٧٥) رقم الأثر (٧٥٧٩) ، والآجري في الشريعة (١/٢٩٨) باب ذكر أمر النبي ﷺ أمته بلزوم الجماعة وتحذيره إياهم الفرقة رقم الأثر (١٧) وابن بطة في الابانة الكبرى مطولاً (١/٢٩٧) باب ذكر ما أمر به النبي ﷺ من لزوم الجماعة والتحذير من الفرقة. رقم الأثر (١٣٣).

وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قال فقيل يا رسول الله : وما هذه الواحدة ؟ قال فقبض يده وقال: الجماعة وقرأ : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[1] .

وقال ابن مسعود في خطبة : عليكم جميعا بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به [2].

وقال قتادة رحمه الله: حبل الله الذي أمر بالاعتصام به هو القرآن[3]. وقال السدي: حبل الله : كتاب الله ، وقاله أيضا : ابن مسعود ، والضحاك [4].

وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال:"كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض"[5]. وقال أبو العالية:حبل الله في هذه الآية هو الإخلاص في التوحيد[6].وقال ابن زيد:حبل الله هو الإسلام[7]. قال ابن عطية : وقيل غير هذا مما هو كله قريب بعضه من بعض [8].

﴿ جَمِيعًا ﴾ : الأمر بالاعتصام لجميع الأمة وفي أثناء ذلك يحصل أيضاً الاعتصام الفردي " إذ ليس المقصود الأمر باعتصام كل مسلم في حال انفراده اعتصاماً بهذا الدين، بل المقصود الأمر باعتصام الأمة كلها، ويحصل في ضمن ذلك أمر كل واحد بالتمسك بهذا الدين، فالكلام أمر لهم بأن يكونوا على هذه الهيئة [9]" .

ومن المتفق عليه بين العقلاء أن الأمر بالشيء نهيٌ عن ضده ، ومن المعلوم أنه إذا حصل الاعتصام بحبل الله استلزم ذلك الاجتماع والائتلاف إلا أنه من باب التأكيد على هذا الجانب جاء النهي بعدم التفرق فقال سبحانه : **(وَلَا تَفَرَّقُواْ)** . وفي الآية دليل على أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده[10].

قال الطبري في معنى قوله تعالى : **(وَلَا تَفَرَّقُواْ)** : ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ والانتهاء إلى أمره. ثم ذكر بسنده ، عن قتادة قال : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ، إنّ الله عز وجل قد كره لكم الفُرْقة، وقدّم إليكم فيها ، وحذّركموها ، ونهاكم عنها ، ورضي لكم السمعَ والطاعة والألفة والجماعة ، فارضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم ، ولا قوّة إلا بالله. [11]

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظه دون الآية في آخره (١٣٢٢/٢) (٣٦)كتاب الفتن ، (١٧٩)باب افتراق الأمم ، رقم الحديث (٣٩٩٣). وصححه الألباني . وأخرجه بلفظه ابن جرير في تفسيره (٧٤/٧) رقم الحديث (٧٥٧٧) .

(٢) سبق تخريجه قريباً

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٧٢) رقم الأثر (٧٥٧٢).

(٤) انظر تفسير الطبري (٧/ ٧٢) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٧٢) رقم الأثر (٧٥٧٢).

(٦) انظر تفسير الطبري (٧/ ٧٣) .

(٧) انظر تفسير الطبري (٧/ ٧٣) .

(٨) المحرر الوجيز (١/ ٤٨٣) .

(٩) التحرير والتنوير (٤/ ٣١) .

(١٠) التحرير والتنوير (٤/ ٣٢) .

(١١) تفسير الطبري (٧/ ٧٤).

وأخرج ابن ماجة في سننه من حديث أنس بن مالك ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ "[1] .

. تصوير القرآن لحالين مختلفين :

زيادة في التنبيه على أهمية الاجتماع على كتاب الله وعدم التفرق فيه يذكّرهم الله بحالهم قبل الإسلام وبعده فيقول جل وعز :﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ .

"والخطاب للمؤمنين وهم يومئذ المهاجرون ، والأنصار ، وأفراد قليلون من بعض القبائل القريبة، وكان جميعهم قبل الإسلام في عداوة وحروب، فالأوس ، والخزرج كانت بينهم حروب دامت مائة وعشرين سنة قبل الهجرة، ومنها كان يوم بعاث، والعرب كانوا في حروب وغارات بل وسائر الأمم التي دعاها الإسلام كانوا في تفرق وتخاذل فصار الذين دخلوا في الإسلام إخواناً وأولياء بعضهم لبعض، لا يصدهم عن ذلك اختلاف أنساب، ولا تباعد مواطن...

وقد امتن الله عليهم بتغيير أحوالهم من أشنع حالة إلى أحسنها: فحالة كانوا عليها هي حالة العداوة والتفاني والتقاتل، وحالة أصبحوا عليها وهي حالة الأخوة ، ولا يدرك الفرق بين الحالتين إلا من كانوا في السوأى فأصبحوا في الحسنى، والناس إذا كانوا في حالة بؤس وضنك واعتادوها صار الشقاء دأبهم، وذلت له نفوسهم فلم يشعروا بما هم فيه، ولا يتفطنوا لوخيم عواقبه، حتى إذا هيئ لهم الصلاح، وأخذ يتطرق إليهم استفاقوا من شقوتهم، وعلموا سوء حالتهم، ولأجل هذا المعنى جمعت لهم هذه الآية في الامتنان بين ذكر الحالتين وما بينهما فقالت: ﴿ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾[2] . فاشتملت الآية على عدة نعم .

النعمة الأولى: الأخوة والتآلف بعد العداوة والتقاطع .

النعمة الثانية: وفيها سعادة الأخرة فقال سبحانه :﴿ وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ ﴾ قال جمهور المفسرين: أراد نار جهنم ، فهي نعمة أخرى وهي نعمة الإنقاذ من حالة أخرى بئيسة وهي حالة الإشراف على المهلكات[3].

النعمة الثالثة :﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ نعمة أخرى وهي نعمة التعليم والإرشاد، وإيضاح الحقائق حتى تكمل عقولهم، ويتبينوا ما فيه صلاحهم[4] .وتحصل هدايتهم في الدنيا والأخرة .فهنيئاً لمن اعتصم بحبل الله فسلم في الدنيا ونجا في الآخرة جعلنا الله وإياك منهم .

---

(١) سنن ابن ماجه(٢/١٣٢٢) (١٧٩)باب افتراق الأمم رقم الحديث (٣٩٩٣).والحديث صححه الألباني رحمه الله .

(٢) التحرير والتنوير (٤/ ٣٤) .

(٣) انظر التحرير والتنوير (٤/ ٣٥) .

(٤) التحرير والتنوير (٤/ ٣٦) .

○ **الخـــــاتمـــــة :**

وبعد أن وصلنا إلى نهاية هذا البحث فأحب أن أشير إلى عدة أمور :

. أولاً :كلمة "فَرَقَ" بشتى استعمالاتها تكون بمعنى : التمييز ، والتشتيت ، والفصل ، وتستعمل في المعاني ؛ وفي الأعيان . والفَرقُ يكون في المعاني ؛ والتفريق في الأعيان فإن ميزت بين الأشياء "شددت" وإن كان بين شيئين فهو مخفف[1] .

. ثانياً : التفرق والاختلاف مؤداهما متقارب وإن كان الأظهر في كل منهما خلاف الآخر. والافتراق بلا شك أشد من الاختلاف وأعظم ؛ لأن الافتراق اختلاف وزيادة وليس كل اختلاف يقع يؤدي للافتراق كما هو معلوم من حال السلف، ولكنه سبب الافتراق ولاشك .

قال الشاطبي :والتفرق ناشئ عن الاختلاف في المذاهب والآراء إن جعلنا التفرق معناه بالأبدان . وهو الحقيقة . وإن جعلنا معنى التفرق في المذاهب، فهو الاختلاف، كقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾[2].

. ثالثاً : الاختلاف المنهي عنه : الاختلاف في أصول الديانة الذي يفضي إلى تكفير بعض الأمة بعضاً ، أو تفسيقه، دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصار، وهو المعبر عنه بالاجتهاد.... [3].

. رابعاً : تنوعت أساليب القرآن الكريم في التحذير من الفرقة والنهي عنها من الأيام الأولى في الإسلام فسورة "طه" نزلت قبل إسلام عمر وفيها التنبيه على هذا الأمر ، مما يدل على أهميته ، وشدة عناية القرآن الكريم به .

. خامساً : القضايا المصيرية للأمة يجب الرجوع فيها لولاة الأمر ، ويحذر المسلم من الافتيات عليهم ، وقد انتظر هارون وهو الأكبر سناً أخاه موسى لينظر في أمر بني إسرائيل ، وما حصل من عصيانهم لأمر الله ، وإخلافهم لموعد نبيهم ﷺ .

. سادساً : يجب مراعاة المصالح والمفاسد ، والقاعدة الشرعية : أن الشريعة جاءت بدرء المفاسد وتقليلها ، وجلب المصالح وتكثيرها ، وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. وفي عمل هارون مع أخيه وبني إسرائيل ما يمكن أن يؤخذ منه نموذج لمثل ذلك .

. سابعاً : البغي ، والجدال والمراء والخصومات في الدين ،ومشابهة اليهود والنصارى سبب الاختلاف والتفرق.

ثامناً : الاجتماع على الدين والقيام به وعدم التفرق فيه هي وصية الله لجميع الرسل قال سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[4] "فبعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة."[5]

---

(١) انظر الكليات (١/٦٩٥).

(٢) سورة آل عمران : آية رقم (١٠٥) .

(٣) انظر التحرير والتنوير (٤/ ٤٣).

(٤) الشورى: ١٣.

(٥) تفسير البغوي (٧/١٨٧).

. تاسعاً : جاءت آية آل عمران تأمر المسلمين بالاعتصام بحبل الله ، وتذكرهم بما كانوا عليه من الشقاء في الجاهلية ، وتصور لهم حالهم بعد الإسلام وقد أصبحوا إخواناً ، وقد ذاقوا الحالتين لتكون لهم ، ولجميع الأمة درس على مر الزمان ، وتغير الأحوال ، وهو ما تمر به الأمة في هذا العصر ، والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون إليه.

فنسأله سبحانه الهداية إلى الصراط المستقيم والثبات عليه إلى الممات إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

- فهرس المصادر والمراجع :

١. الإبانة الكبرى لابن بطة ، المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ) ، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري ، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض ، عدد الأجزاء: ٩ .

٢. الإحكام في أصول الأحكام ، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر ، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت ، عدد الأجزاء: ٨ .

٣. أسباب نزول القرآن ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، الناشر: دار الإصلاح – الدمام ، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ .

٤. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى ، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) ، المحقق: محمد الصباغ ، الناشر: دار الأمانة / مؤسسة الرسالة – بيروت ، عدد الأجزاء: ١.

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ،الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٦. الاعْتِصَام ، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) ، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، عدد الأجزاء:٤.

٨. الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة ، المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ) ، المحقق: د. محمد حسن عواد ، الناشر: دار الجيل – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ ، عدد الأجزاء: ١.

٩. البحر المحيط في التفسير ، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

١٠. تاج العروس من جواهر القاموس ، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية.
١١. التبيان في إعراب القرآن ، المؤلف : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري المتوفى : ٦١٦هـ) ، المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه عدد الأجزاء : ٢.
١٢. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ ، عدد الأجزاء : ٣٠ ، (والجزء رقم ٨ في قسمين).
١٣. تفسير ابن رجب = روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ،الناشر: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١ م ، عدد الأجزاء: ٢ .
١٤. تفسير الإمام ابن عرفة ، المؤلف: محمد بن محمد ابن عرفة التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ) ، المحقق: د. حسن المناعي، الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ٢.
١٥. التَّفْسِيرُ البَسِيْط،المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٤ وجزء للفهارس) .
١٦. تفسير الراغب الأصفهاني ،لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، للعدد من الناشرين .
١٧. تفسير القرآن ، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
١٨. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة النشر: ١٩٩٠ م ، عدد الأجزاء: ١٢ جزءا.

١٩. تفسير القرآن العظيم ، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.
٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م ، عدد الأجزاء: ١.
٢١. جامع البيان في تأويل القرآن ، لمحمد بن جرير ، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى:١٤٢٠ هـ عدد الأجزاء: ٢٤.
٢٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.
٢٣. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات) .
٢٤. جمهرة اللغة ، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) ، المحقق: رمزي منير بعلبكي ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م ، عدد الأجزاء: ٣.
٢٥. الحيوان ، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ ، عدد الأجزاء: ٧.
٢٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، الناشر: دار القلم، دمشق، عدد الأجزاء: ١١ .
٢٧. الذخيرة ، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) ، المحقق: جزء ١، ٨، ١٣: محمد حجي ، جزء ٢، ٦: سعيد أعراب ، جزء ٣ - ٥، ٧، ٩ - ١٢: محمد بو خبزة ، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣ ومجلد للفهارس) .

٢٨. رد المحتار على الدر المختار ، المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) ، الناشر: دار الفكر-بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، عدد الأجزاء: ٦ .

٢٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس) .

٣٠. زاد المسير في علم التفسير ، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ،المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٣١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، عدد الأجزاء: ١٤.

٣٢. سنن ابن ماجه ،المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله ، الناشر: دار الرسالة العالمية ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ، عدد الأجزاء: ٥.

٣٣. سنن أبي داود ،المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني ،المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت،عدد الأجزاء: ٤.

٣٤. سنن الترمذي ، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ،المحقق: بشار عواد معروف ،الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ، سنة النشر: ١٩٩٨ م ، عدد الأجزاء: ٦ .

٣٥. شرح السنة ، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، عدد الأجزاء: ١٥.

٣٦. شرح طيبة النشر في القراءات ،المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري ، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، عدد الأجزاء: ١ .

٣٧. الشريعة ، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ ،المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٥ .

٣٨. الشعر والشعراء ، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) ، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ ، عدد الأجزاء: ٢.

٣٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦.

٤٠. عيون الأخبار ، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت ، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ ، عدد الأجزاء: ٤ .

٤١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ،المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) ، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ .

٤٢. غريب الحديث ، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ) ، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي ، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي ، الناشر: دار الفكر – دمشق ، عام النشر: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، عدد الأجزاء: ٣.

٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،الناشر:دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، عدد الأجزاء: ١٣.

٤٤. فتح القدير ، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .

٤٥. الفروق اللغوية ، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ، عدد الأجزاء: ١.

٤٦. الكامل في اللغة والأدب ، المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة ، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، عدد الأجزاء: ٤ .

٤٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ ،عدد الأجزاء: ٤ .

٤٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ،مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م. عدد الأجزاء: ١٠ .

٤٩. الكنز في القراءات العشر ، المؤلف: أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر ، المحقق: د. خالد المشهداني ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ ،عدد الأجزاء: ٢.

٥٠. لباب التأويل في معاني التنزيل ، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) ، تصحيح: محمد علي شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥١. اللباب في علوم الكتاب ، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م ،عدد الأجزاء: ٢٠ .

٥٢. لسان العرب ، المؤلف: محمد بن مكرم ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، الناشر: دار صادر الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ،عدد الأجزاء: ١٥ .

٥٣. مجموع الفتاوى ، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٥٤. المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، الناشر: دار الفكر .

٥٥. محاسن التأويل ، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .

٥٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .

٥٧. المستدرك على الصحيحين ، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠ ، عدد الأجزاء: ٤ .

٥٨. المسند ، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، عام النشر: ١٤٠٠ هـ.
٥٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ) ،المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .
٦٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥ .
٦١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد) .
٦٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) ، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت ،الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ ،عدد الأجزاء :٥
٦٣. معاني القرآن ، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) ،المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ،الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ، الطبعة: الأولى .
٦٤. المعجم الكبير ، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الثانية ، عدد الأجزاء:٢٥.
٦٥. معجم مقاييس اللغة ، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦.
٦٦. المغرب في ترتيب المعرب ، المؤلف: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطَرِّزِىّ (المتوفى: ٦١٠هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي ،الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ ، عدد الأجزاء: ١.
٦٧. مفاتيح الغيب = تفسير الرازي ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .
٦٨. المفردات في غريب القرآن ، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، المحقق: صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

٦٩. المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر ،المؤلف: عمر بن قاسم بن محمد ..النشَّار الشافعي المصري ، المحقق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى ،عدد الأجزاء: ١ .
٧٠. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، المحقق: محمد رشاد سالم ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، عدد المجلدات: ٩.
٧١. النكت والعيون ، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد ، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ،عدد الأجزاء: ٦ .
٧٢. نهاية المطلب في دراية المذهب ، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ) ، حققه وصنع فهارسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الدّيب ، الناشر: دار المنهاج ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .
٧٣. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ،المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) ، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ،الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ،عدد الأجزاء: ١٣ (١٢، ومجلد للفهارس) .
٧٤. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ،عدد الأجزاء: ١.